

فراق فموت<sup>٢٤</sup>

رواية

رقية وائل نجم

تموز ٢٠٢١

## مقدمة

أحداث فلسطين كثيرة تتنوّع بين المآسي والشهادة والفراق والموت والفرح والانتصارات. عانى الشعب الفلسطيني كثيراً وما زال يُعاني وعلى الرغم من ذلك كلّه بقي صامداً أمام الاحتلال مُخلصاً للقضية الفلسطينية.

أحداث هذه الرواية وشخصياتها كلّها من نسج الخيال وليس لها أيّة صلة بالواقع إنّما تحاكي ما يعيشه الفلسطينيون المقاومون وغير المقاومين من بطولات وغزوات ومآسي وأفراح وأنراح.

تدور أحداث هذه الرواية حول البطل عمر الغزّاوي الذي قرّر الإلتحاق بالمقاومة الفلسطينية دفاعاً عن أرضه ووطنه الذي أُحتل من قبل العدو الصّهيوني.

هذه الرواية إهداءً لكل مقاوم شريف اختار طريق الشهادة للدفاع عن أرضه. وأشكر كل من شجّعني على إتمام هذه الرواية.

الدبيّة، الشوف تموز ٢٠٢١

## قرار صعب

من ليست فلسطين قضيته الأولى فلا قضية له ولا مبدأ، جملةً لطالما سُمعت على ألسنة المقاومين، آلاف الشهداء ضحّوا بأنفسهم فداءً للقضية الفلسطينية. ملايين الشباب ناضلوا وما زالوا يناضلون ويكافحون بوجه العدو الصهيوني؛ أصبح الموت رفيقاً لهم، والشهادة شراباً يرتوي بها آلاف الناس يومياً في فلسطين المحتلة. الفراق والموت كلمتان صعبتان على الأذن، يُقال إنهما أصعب مقاسي الدنيا.

طبول تُقرع وأصوات "الزلاغيط" تعلو المكان، فالיום خُطبة عمر الغزّاوي ابن الشهيد عليّ على ابنة خاله مرام. عمر شاب في سنّ العشرينات، طويل ضخم، أشقر ذو عينين خضراوتين. أمّا مرام فهي فتاة رقيقة ذو بشرة حنطاوية، وشعر كستنائي يميل إلى الشقار، تجايل عمر بالسنّ. ها هو عمر على كتف صديقه حسن يمضي قدماً مع الزفة الفلسطينية الأصيلة. مضت الليلة بالفرح والسعادة وقرع الطبول. أصبحت الساعة الثانية عشرة،

وعاد المدعوون إلى بيوتهم، فراح عمر وصديقه حسن  
يمشيان بين أزقة غزّة المحاصرة.

- أتعرف يا حسن، أفكر بالالتحاق  
بالمقاومة، وأن أذهب للدفاع عن أرضي مع  
كتائب الشهيد عزّ الدين القسام. فماذا  
ينقصني؟ أعرف استعمال الأسلحة بشكل جيّد.

- والله إنّ عمرك أطول من عمري.  
لما لا نلتحق بصفوف المقاومة وندافع عن  
أرضنا؟! فلسطين بحاجة إلى مزيد من  
الشبان، ولكن يا عمر نحن لا نتقن من فنون  
القتال شيئاً.

- من هذه الناحية، لا تقلق. شهر  
من التدريب يكفي. عمّي ضرغام يتكفل  
بتدريتنا. أفاتحه بالموضوع غداً.

- حسناً، ولكن ليبقى الأمر سرّاً بيننا  
إلى حين التحاقنا بهم.

سار كلّ من الشابين إلى بيته، أمضى عمر ليلته وهو يفكر في قراره. لم تغمض عينه ولم تعرف النوم ولو لدقيقة واحدة. نظر إلى الساعة ليجد أنّ الفجر قد حان. قام وتوضأ وصلّى الفجر وذهب مسرعاً إلى عمّه ضرغام. فهو يعرف عادة عمّه في عدم النوم بعد الفجر.

- صباح الخير يا عمّي، عرفتُ أنّي سأجداك مستيقظاً.

- صباح النور، يا أهلاً بعمر. كيف حالك وحال أمك وحال مرام؟

- الجميع بخير. يسلمون عليك. عمّي أريدك في موضوع هام.

- شغلت بالي. قل يا عين عمك.

- منذ البارحة وأنا أفكر بالالتحاق بكتائب القسام.

- آه يا بُني، تذكرني بوالدك رحمة  
الله عليه، لقد كان في عمرك حين أخذ القرار  
نفسه.

- رحمة الله عليه.

- يا بُني يجب عليك التفكير جيداً.  
هل سيتحمّل قلب أمك شهيداً آخر؟ هل يقوى  
أخوك على تحمّل مسؤولية أمك وهو ما زال  
في سنّ الرابعة عشر؟ هل ستحمّل خطيبتك  
التي ستصبح زوجتك فقدانك؟

- يا عمّي. الوطن بحاجة إلينا. أنت  
وأخوالي الإثنان بجانب أمّي وأخي. أمّا مرام  
فلا تقلق عليها قلبها قويّ يتحمّل غيابي.

- هل فكّرت جيداً؟

- نعم واتخذت قراري وأريد منك  
تدريبي أنا وحسن وإجراء اتصالك للانضمام  
إلى كتائب القسام خلال هذا الشهر.

غاب العمّ فترة عشر دقائق، وعاد مبتسماً.

- أبشر يا عمّي. ستأتي برقيّة قبول  
انضمامكما خلال أسبوع.

- وهل أسبوع يكفي للتدريب؟

- نعم تحتاج بضعة أيام. فما شاء  
الله عنك تتقن القنص والقتال. تحتاج لمسات  
صغيرة وقليلة فقط. أمّا حسن فهو مثل والده  
يتعلّم بسرعة، عين الله عليه تحرسه.

- أشكرك جزيل الشكر، سأذهب إلى  
خالي لأفاتحه بأني أريد الزواج من مرام  
خلال أسبوع.

ذهب عمر والفرحة لا تسعه وتوجّه إلى بيت خاله.

- صباح الخير يا خالي.

- صباح النور، تفضّل لتفطر معنا.

- بعد إذنك يا خالي أريد الزواج من  
مرام خلال هذا الأسبوع.

- ولما العجلة يا عمر؟

- لأكن معك صريحاً، سأنظم  
للمقاومة نهاية هذا الأسبوع. وأريد الزواج  
قبل ذهابي وليبق ذلك سرّاً بيننا.

- نعم الرأي يا بُني. وهل بعد غدٍ  
جيد؟

- القرار قرارك يا خالي.



## اشتباك قبل التدريب

كانت الساعة الخامسة مساءً بالتمام وقد ارتمى عمر على الأريكة محاولاً الاسترخاء.

- عمر عمر عمر .

- ماذا بك يا مالك؟ (مالك شقيق عمر).

- لقد أرسلني عمي ضرغام لمناداتك. ألم تسمع أصوات الاشتباك؟

- اشتباك ماذا يا مالك؟

- لقد بدأ العدو الإسرائيلي برمي القذائف نحوننا، وها هم الآن باشتباك ناري مع رجال المقاومة.

أسرع عمر إلى غرفته. لبس سترة الحرب. أخذ بندقية والده، وذهب مسرعاً إلى بيت عمه ضرغام مصطحباً معه صديقه حسن.

- عمّي، ماذا هناك؟

- لقد بدأ العدو بالاشتباك وأصيب عدد كبير من رجالنا، وهناك حاجة كبيرة لكم.

وزّع العمّ ضرغام العناصر ومن بينهم حسن وعمر. أخذ عمر موقعاً استراتيجياً للقنص، وبدأ يسقط جنود العدو واحداً تلو الآخر. انتهت الرصاصات في البندقية، توقّف عمر ليبدّل مخزن الرصاص، وبلحظة غير متوقعة أصابته رصاصة بكتفه. لم يبال عمر بإصابته. بل أكمل ولكنّ حركته صارت بطيئة جداً. بعد اشتباك دام لساعات توقّف صوت الرصاص، وعاد عمر إلى بيت خاله بعد وصوله خيراً أنّ العائلة كلّها تنتظره هناك.

- عمر. ما بك؟ هل اصبت؟

- لا تقلقي يا مرام. نعم أصبتُ خلال الاشتباك، جرح خفيف.

- كيف لي أن لا أقلق، لأضمدّها لك  
قبل أن تلتهب.

ضمّدت مرام جرح خطيبها وجلس عمر يروي أحداث  
الاشتباك، وبعد اطمئنان الجميع عليه عاد إلى منزله متعباً  
ومنهكاً. اكتظ اليوم الثاني بالاشتباكات الكثيفة، لقد كانت  
تدريبات لحسن وعمر، وكثير من الأبطال الذين أرادوا  
الالتحاق بالقسم، ووجدوا الاشتباك فرصة حقيقية لهم  
للتدريب.

انتهى اليوم باستشهاد عشرة شهداء ولم يعد إلى بيته  
تلك الليلة، فكان وقت مناوبته ليلاً. أصوات الرصاص لم  
تخلُ من المكان. فكانت ليلة مرعبة لم تشهد غزّة على  
مثلها من قبل. في زمن كهذا، الموت أكثر شفاعة من  
الحياة. فما قيمة الحياة في زمن أصبح الفراق فيه عادياً  
وأمسى فقدان الأحبة فيه طبيعياً. إنّ الحياة كالبحر غدّارة.  
تحاول بكل قوتها الإكثار من الأمواج العالية والعاتية  
والقويّة لتشدّ منك أعلى الأشخاص على قلبك، بل لتشدّ  
منك السعادة التي لم يبقَ لها أثر في أيامنا هذه.

اجتمعت عقارب الساعة في الثانية عشرة، في مثل هذه الساعة يومياً يوارد عمر نفس الكابوس. استنشاد والده أمام عينيه. ما يزال يذكر الحادثة كأنها البارحة. ما زالت نار الانتقام تشده للنار لوالده، ففي النهاية لا دم يبقى على الأرض.

في الرابع عشر من تموز، منذ خمس سنوات تقريباً، طراً على عليّ أبي عمر عملٌ بالقدس. كان عمر في سنّ المراهقة حينها. والشبان في هذا العمر تغريهم الأسلحة والمهمّات السريّة وما شابه. فقرّر عليّ اصطحاب بكره عمر معه. جهّزت القافلة صباح ذلك اليوم، وتمّ أخذ الاحتياطات أجمع. فأبو عمر له مركزه الحساس بالمقاومة. وصلت القافلة بسرعة إلى القدس على غير عاداتها. ومن عادات أبي عمر عند وصوله القدس زيارة المسجد الأقصى أولاً قبل إقدامه على فعل أي شيء. ذهب عليّ وابنه عمر إلى الأقصى وبينما هما على الطريق شعر عليّ بشعور غريب. شعر أنّ شمسه ستغيب قريباً، وأحسّ بأنّ الأوان قد حان لإيداع وصيته مع عمر.

- يا عمر، إن حدث واستشهدت في  
رحلتنا الخطيرة هذه أوصيك أن تدفني هنا  
في الأقصى الشريف. حيث يمكنني أن أشهد  
على تحرير فلسطين وأنا تحت التراب.

- لا نقل هذا يا ابتي، فما زلت في  
عزّ الشباب. وسنخوض الكثير من المعارك  
معاً.

- يا بُني، لا بدّ لشمسي أن تغيب،  
ولا بدّ لي أن ارتوي بشراب الشهادة.

وصلا المسجد، وعلى غير عادات عليّ أراد هذه  
المرّة أن يصلّي تحت شجرة الصفصاف التي تظلّ جزءاً  
من ساحات الأقصى ليرى نور الله تحت السماء الصافية.  
أراد أن يسجد بخشوع كبير، وكأنّها المرّة الأخيرة التي  
سيسجد بها.

عاد عمر وقد توضّأ ليرى أن والده في ركعته  
الأخيرة. جلس على الحجر المقابل لشجرة الصفصاف

منتظراً والده لينهي صلاته، وبينما عليّ ينطق الشهادة بالصلاة توقف لبرهة قبل أن يسلم وينهي صلاته وخطواته ليست متوازنة، سارع عمر لنجدته لكنه لم يلحق، فالرصاص خرق جسد والده وفتك به. ارتطهم عليّ أرضاً مودعاً حياته إلى الأبد وهو ينطق الشهادة.

لم يستطع عمر استيعاب ما جرى، جلس يبكي ويمسح شعر والده عن وجهه البريء. تقدّم الطبيب الشرعي ليقدر أن تسع رصاصات قد خرقت جسد الوالد الذي بات جثة هامة الآن. كيف لعمر أن ينسى مشهداً كهذا؟ الموت هو مشهد مريع وحزين تختزنه الذاكرة كشريط وتستخرجه من باطن الذكريات بين الفينة والأخرى. هل لنا أن ننسى موت أحبائنا؟ هل لعمر أن ينسى والده الذي دفنه بيديه في الأقصى؟ هل لنار الانتقام أن تهدأ قبل معرفة وقتل الفاعل؟ عاد عمر وقتها إلى منزله، دخل غرفته، أقفل بابه، ولم يدع أحداً يدخل.

مضى أسبوع على هذه الحال لا يتفوه بحرف وأكله ضئيل. لم يعرف أحد كيف استشهد عليّ. يا ويل والدته،

هل تبكي على زوجها الذي سرقه الموت منها؟ أم تبكي  
على بكرها الذي سيموت قهراً؟ لم تعد حياتهم إلى طبيعتها  
إلاّ بعد مرور سنة من استشهاد عليّ. أقسم عمر وقتها  
علي قتل الفاعل ذي الوشمة الكبيرة على كتفه الأيسر،  
فإنّها المعلومة الوحيدة المعروفة عن القاتل.

## هل تقبلين بي زوجاً؟

إنه اليوم الكبير. اليوم سيتزوج عمر بمرام. تجهيزات منذ الصباح. احتشدت نساء العائلة لتنظيف بيت العروسين. البيت الذي ورثه عمر عن والده والذي نسق أثاثه على ذوق العروس. عرس فلسطيني أصيل. جلسة عربية من الطراز الأول. أنواع المأكولات المختلفة من التراث الفلسطيني. ها هما العروسان يجلسان إلى جانب الشيخ القاسم الذي سيعقد قرانهما.

- مرام ابنة وليد، هل تقبلين بعمر

ابن عليّ زوجاً لك؟

- نعم أقبل.

- هل تقبلين؟

- نعم أقبل.

- هل تقبلين؟

- نعم أقبل.



- عمر ابن الشهيد عليّ، هل تقبل  
بمram ابنة وليد زوجة لك؟

- نعم أقبل.

- هل تقبل؟

- نعم أقبل.

- هل تقبل؟

- نعم اقبل.

- أيها الشاهدان، هل تشهدان على  
قرانهما؟

- نعم نشهد، نعم نشهد.

- مبارك لكما، بالرفاه والبنين.

ثلاثة أيام وستصل برقية قبول عمر وحسن. كيف  
سيفتح عمر زوجته بهذا الأمر؟ جاءت مرام بالقهوة  
لزوجها.

- مرام، تعالي. أريد أخبارك بشيء هام.

- أسمعك يا عمر.

- تعرفين أن فلسطين بحاجة إلى شباب يدافعون عنها. لذا قررت الالتحاق بكتائب القسام.

- قلائل من ذهبوا إلى الحرب وعادوا، ولكنّ هذه سنة الحياة.

كانت مرام فتاة عقلانية متفهمة، لم تنزل لها دمعة واحدة، ولكن عند خروج عمر من المنزل انفجرت باكية. لكن هذه سنة الحياة. إذ كلّ منا جلس خائفاً من الموت سيفتك العدو بنا ولن يبقى لنا لا قضية ولا وطن.

ثلاثة أيام مرّت كرمشة عين. ها هي شمس اليوم الأخير تدغدغ أنف مرام الصغير لتمدّ على ظفائرها العسلية نحو شعر عمر الأشقر. ها هما استيقظا ويعرفان

أنهما سيستقبلان يوماً مليئاً بالألم. حياة جديدة بانتظار كلٍّ منهما.

توجّها إلى بيت ضرغام.

- صباح الخير يا عمّي.

- صباح الخير يا عمر. صباح  
الخير يا مرام.

- مرام، هل تذهبين وتساعدني أمّي  
وزوجة عمّي بإعداد الفطور؟

- بأمرك يا عمر.

- هات البشارة يا عمّي.

- ها هي برقيّة قبولكما، واليوم  
مساءً ستتوجهان أنت وحسن إلى القدس.

- إلى القدس!؟

- نعم، إلى القدس. فالقدس بحاجة  
إلى الكثير من الأبطال. كلَّ شهرين تأتيان  
زيارة إلى غزة.

إنّها الساعة الخامسة مساءً، حان وقت رحيل عمر  
وحسن. جهّز عمر أمتّته، قبّل رأس زوجته ويدي أمّه.  
أودعهما القليل من المال، وذهب في رحلته التي قد لا  
يعود منها.

في زمن الحروب لا يتوقف قطار السعادة عند أحد،  
بل يمرّ عليهم مرور الكرام، ويتوقف لساعات عند  
الرؤساء الذين لا يهتمون للأطفال والشبان الذين  
يستشهدون يومياً. طعم شراب الشهادة حلوٌ للشهيد ولكنه  
مرّاً لأهله. تختلف الطعمات من شخص إلى آخر ولكنّ  
لون الشراب عند الكلّ هو لون الحزن المخلوط بالدماء.  
ربما أصبح الموت طبيعياً والفراق عادياً ولكن لأشخاص  
لا يقوى قلبهم على الصدمات ما زال للفراق والموت  
هيبّة.

لم تتم مرام تلك الليلة بكاءً على فراق زوجها الذي قد لا تراه مجدداً. على قول ضرغام تستغرق القافلة ثلاثة أيام للوصول إلى الأقصى. فهي قافلة لتاجر قماش. والتجار يخافون قطاع الطرق، ويهابون العدو. يمشون ويتبعون المثل " أمش الحيط الحيط يا ربّ السترة". في قافلات كهذه يختلط النهار بالليل. فأشرقت شمس اليوم الثاني وها هي بعد ساعات ستغيب. توقفت القافلة عند مجموعة من البدو لتبيت ليلتها هناك.

- مساء الخير، إن لم تكذبني عيناى  
أنت عمر ابن عليّ؟

- صحيح، وكيف عرفت ذلك.

- والدك صديق الطفولة. لقد زرتكم  
مرتين، ولكنك كنت في سنّ الخامسة فلن  
تتذكّر. كيف حال والدك؟

- والذي قد استشهد بالقدس منذ  
خمس سنوات تقريباً.

- رحمة الله عليه، آسف يا بُني، لقد  
وضعتُ ملحاً على جرحك.

- لا تهتم.

جلسوا جميعاً حول النار الموقدة أمام الخيمة  
يتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث، وبينما هم غارقون  
في أحاديثهم، سمعوا أصوات إطلاق نار، معروف أنّ  
أعداء البدو كثر. تركزوا في أماكن مختلفة متبادلين  
إطلاق النار، وبعد اشتباك دام لساعة ونصف حُلت  
المشكلة. هكذا هي الحال في فلسطين اشتباكات من غير  
إنذار مسبق.

- من هؤلاء؟

- إنهم من قبيلة مجاورة لنا، يفترون  
علينا ويطلقون النار علينا بين الفينة  
والأخرى.

- وهل مرّت على خير؟

- نعم مرّت على خير وانتهى كل شيء حالياً.

- متى سنصل إلى القدس؟ غداً أم بعد غد؟

- ظهيرة الغد تكونون القدس بإذن الله.

إلى أيّ زمن وصلنا بينما نحن جالسون في منزلنا تنزل قذيفة علينا أو ينهمر علينا الرصاص من حيث لا نعلم. الموت يلاحقنا وكأننا غداؤه. كم أصبحت الحياة قاسية ومليئة بالمخاطر.

## ريّ التربة

في بعض الأحيان يقتلنا الشوق إلى التراب. إلى التراب الذي دُفن به أعلى الناس على قلوبنا. ألم تسأل نفسك يوماً لماذا البشر يحبّون رائحة التراب؟ لأنّه رائحة إحدى قطع قلوبهم. ولأنّ من نحبهم تحته. فرائحته هي رائحتهم. ننام عليه وكأننا ننام على صدرهم. نشتمّه كأننا نشتمّ عطرهم. نبكي له ونشكو له لأننا نؤمن أنّ من تحته يسمعنا، ولأنّ لا لسان للجثّة تبقى أسرارنا نائمة في قلب التراب مع أشخاص اعتدنا على ضحكاتهم وصوتهم.

ها هي القافلة وصلت إلى مشارف القدس. القدس التي بجمالها وقداستها سحرت الملايين. وبرونقها أسرت عيون الناظرين إليها. إنّها القدس التي يتنافس الجميع لامتلاكها. القدس عاصمة فلسطين الأبيّة التي تضمّ آلاف الشهداء في ترابها. ذلك التراب الذي تختلط رائحته مع رائحة المسك رائحة دماء الشهداء الطاهرة.

— أه يا حسن، ما أجمل وأنقى هواء القدس.



- كم اشتقت إليك أيها الأقصى،  
وأخيراً سأروي ناظري بك.

- حسن، أريد الذهاب إلى قبر  
والدي. نلتقي عند آذان المغرب في المسجد  
الأقصى.

وصل عمر إلى المقبرة التي دُفن بها والده، يعرف  
قبر والده الذي دفنه بيديه ولو على بعد ألفي متر. وضع  
باقة ورد يعرف أنها مفضلة لدى والده. في الحقيقة الورود  
لا تعني الميت بشيء، فهو لن يراها ولن يشمها، بل ستذبل  
على تراب قبره، لكنّها من العادات الجميلة التي تجسّد  
أهمية كبيرة لدى زائري القبر.

رشّ عمر الماء على قبر والده وجلس يخاطبه ويشكو

له

- أه يا ابتي كم تغيّرت بنا الدنيا منذ  
فقدائك، أه كم تغيّرت غزّة منذ رحيلك. كم  
اشتأقت جدران المنزل إلى سماع صوتك

وسماع ضحكات ذات الصوت الرقيق. كم  
اشتقنا إلى هداياك البسيطة. كما اشتقنا إلى  
طريقة إيفاظك لنا. كما اشتاق شباب المقاومة  
لك ولأوامرك ولتفكيرك وتخطيطك المذهلين.  
بالمناسبة أمّني عمّي ضرغام أن اسلم عليك.  
آه يا أبي كم تمنّيتك معي في ليلة خطوبتي  
وزواجي من ابنة خالي مرام. مرام التي كنت  
تعتبرك انبتك هي الأخرى اشتاقت لك.  
سامحك الله يا والدي، لماذا أقسمت أن لا  
أسمّي بكري عليّاً؟ كم كنت سأفرح عندما  
كنت سأنادي بصغيري باسمك. يا ليتك ما  
زلت حيّاً لشاركتني أفراحي وأحزاني. كم  
يقتلني الشوق إليك! وإلى رحلات الصيد،  
حتى مالك أصبح شاباً. كم كان سيفرح لو  
شاركته هو الآخر فترة مراهقته. آه يا والدي  
كم تحرقني نار الانتقام والثأر لك. لن تصدّق  
كم نزفت فلسطين دماءً في السنوات الأخيرة.  
لقد تغيّرت بنا الحال كثيراً. أتذكر ذلك البيت

الذي يقرب بيت عمّي ضرغام الذي أورثتني  
إياه؟ أصبح بيتنا وبيت أولادنا وأحفادنا بإذن  
الله، ولأفركك أكثر، لقد التحقت أنا وحسن  
بكتائب القسام. حسن صديق طفولتي الذي  
أمضيت فترة تجنيديك مع والده. آه يا ابتي كم  
هرمت أمّي في السنوات الأخيرة، تراجعت  
صحتها كثيراً. لا أريدك أن تزيد همّاً. أعرف  
أنك تحمل همّ القدس وأهلها. وصلتنا أخبار  
القدس إلى غزّة أيضاً. منذ أيام ولم يتوقف  
إطلاق النار المتبادل. ها هو المغرب قد  
حان، وعدت صديقي حسن بالصلاة جماعة  
بالأقصى. أيامي كثيرة هنا. أزورك حين  
أستطيع. أقبلك يا أبي.

ذهب عمر إلى الأقصى وقد طرد الكثير من الدموع  
التي ذرفها وزينها بضحكات وابتسامات كاذبة. عادة بعد  
زيارة الموتى وبكاء وشكاوى وأخبار عن مآسي الحياة  
ينتهي الأمر بإخفاء الوجوه الحقيقية واستبدالها بوجوه  
تخفي علامات البكاء.

- هل ارتاحت نفسك عند والدك؟

- أه يا حسن، لو كان والدي على

قيد الحياة كم كانت الدنيا أجمل!

- هذه سنّة الحياة ولا هرب من

الموت.

صلّى الإثنان في الأقصى وتوجّها بعد ذلك إلى بيت

محمدّ بحسب تعليمات ضرغام.

- السلام عليكم، أنا عمر ابن

الشهيد عليّ، وهذا حسن ابن مصطفى.

- يا أهلاً بكما، أنا محمدّ، ستكونان

تحت إمرتي. ستتضمن إلى رجال المقاومة

هنا كما أخبركما ضرغام. كل شهرين لديكما

شهر خدمة وعمل في غزّة المحاصرة. سيتم

تسليمكما بندقية وأسلحة وذخيرة.

أوصلهما القائد محمد إلى مكان تواجد بقية العناصر من رجال المقاومة ليبدأ بحياة جديدة قد تغيب شمسها منذ بدايتها. هذه هي الحياة. وخاصة للمحاربين، هي كلعبة تنتقل بين المراحل، وعندما تبدأ بالمراحل الصعبة يجب عليك أن تحسب كل كلمة وكل حرف وكل جملة. المحارب كمولود جديد لا يعرف أحداً، ولا يرق قلبه إلى أحد، ولا يتعاطف إلا مع المظلومين. حياة جديدة مكتظة بالمغامرات والدماء والفراق والموت. نعم الفراق والموت من أصعب الأشياء في الدنيا التي تواجه المحاربين.

- صبّحكم الله بالخير، في الفترة الأخيرة شدّد العدو إجراءاته حول الأقصى، وبما أننا أبناء هذا البلد، فقيادتنا تعرف أماكن سرّية في قلب شجيرات الأقصى، ستختبئون بها، واليوم سيتمّ الاشتباك مع العدو، ومهما حصل لن تكشفوا أماكنكم، فالخطأ ممنوع. اكتبوا رسائلكم إلى أحبائكم، واتصلوا بهم، فالاشتباك قد يطول.

غادر القائد المركز تاركاً صمتاً وسكينة وراءه. خرقت كلماته آذان العناصر، فإنّها مهمة خطيرة، بل إنّها مهمة الموت. سارع عمر لكتابة رسالة خطيّة إلى زوجته وعمّه وأمه، فهو يؤمن أنّ الرسائل الخطيّة أهمّ بكثير من تلك التي تُسمى SMS الرسائل الخطيّة يمكنك الاحتفاظ بها. أم تلك فبلمسة واحدة تُمحي. قد تحمل الرسائل الورقية الكثير من الشيفرات. كلمات لا يفهما إلا من يعنيه أمرها.

بدأ عمر رسائله إلى أمّه يطمئنّها إلى الأحوال. ثم انتقل إلى زوجته ليخبرها بكل ما حصل: آه يا مرام لقد أوصلت سلامك لوالدي. لا تقلقي عليّ، أنا كالذئب والحمد لله، لأخبرك بخبر جميل. كل شهرين لدي شهر خدمة في غزّة. اهتمّ بوالدتي، وعين الله ترعاكما. وصل إلى الرسالة الأكبر والأهم. رسالة العم. رسالة من صفحتين. شيفرات معقّدة. كلمات غريبة. أسرار عميقة. أنهى عمر رسائله وأودعها مع ساعي بريد غزّة. وعاد ليستعدّ ليومه المكتظ. خنادق سرّية تصل إلى حفر داخل أشجار في قلب المسجد الأقصى. تخطيط وتكتيك لا يخطران على بال. عمر

وحسن في الحفرة ذاتها. كم من الجميل أن تقاوم وتحمي  
وطناك وتفديه بروحك وبجانبك أعزّ أصدقائك يشاركك  
الموقف نفسه. لحظات تحبس الأنفاس. في الحروب  
والمعارك الشهيقة والزفير ممنوعان. أيّ حركة قد تسبب  
فشل مهمّة بأكملها. يا للصدفة! ضابط إسرائيلي ذو وشمة  
كبيرة على كتفه الأيسر. توقف نبض عمر. إنه قاتل والده  
الذي انتظر لقاءه عدّة سنوات ليأخذ بثأر والده. رصاصتان  
كافيتان لإيقاعه أرضاً. أرسل رسالة يسأل بها: هل يبدأ  
بإطلاق النار؟ طال الجواب، وطالت أنفاس عمر معه. لم  
يحتمل الإنتظار، فقد يفرّ منه. صوّب على رقبتّه، وضغط  
على الزناد وأطلق النار، لم يخطيء الهدف بل أوداه  
أرضاً ليلتقط شبح الموت روحه. تأهّب الجنود ليحموا  
قائدهم. خطأ صغير قد أفشل المهمّة. وصل أمر  
بالانسحاب ليعودوا أدراجهم. فلا يجب على المحارب أن  
يستمتع إلى صوت مشاعره فسلامة الوطن أهم من نيران  
الانتقام. خطأ صغير من قلب عمر قد أفشل المهام  
وأخطرها. أوما القائد لعمر للحاق به.

- عمر، لقد أخطأت خطأً كبيراً  
بالاستماع إلى قلبك. لقد أقسمنا أن سلامة  
الوطن وسلامة المهمة أهم من عواطفنا  
ومشاعرنا الشخصية. المهمة قد فشلت بسببك  
وبسبب حماقتك.

- الحق مع يا قائدي. آسف عمّا  
جرى، وأعدك أن لا يتكرّر الخطأ.

- هل ستفي كلمة آسف بالغرض؟  
لن يتكرّر الخطأ بالطبع، فالخطأ ممنوع  
وستتحمل المسؤولية بنفسك. عد إلى مكانك.

لم ينم عمر تلك الليلة. هل أخطأ حقاً؟ هل أفضل مهمة  
بأسرها؟ ماذا عساه يفعل؟ سيتمّ ترحيله وهو وحسن إلى  
الوادي، أو ما يُسمّى بالعاميّة "الجرود". حياة المقاومين  
هناك كحياة الذئاب، تنقّض فجأة على فريستك دون سابق  
إنذار، والبقاء للأقوى.



## رابط يجمعنا

الصدّاقة شيء صعب الامتلاك في عصرنا هذا، فبعض الأشخاص من نسميهم أصدقاءنا يخونون في أول منعطف في حياتنا. فالأصدقاء المزيّفون كالظل، يبقون معنا عندما نكون تحت أشعة الشمس، أي أجمل لحظات حياتنا، ويهجروننا عندما نكون في الظلام، أي أقصى لحظات حياتنا. من لديه صديق يفديه بدمه فليتمسك به قد يكون آخر كنوز الدنيا. إنه أول ليلة لحسن وعمر في أحراج القدس، فمن يدري فقد تكون الأخيرة أيضاً. وقف الصديقان مع زملائهم بالمناوبة وقد تحوّلت زرقاة السماء إلى كحل أسود. أصوات الحيوانات المفترسة تعلو المكان، وأحراج القدس تضمّ عدداً كبيراً من الذئاب والثعالب وغيرها. وبينما هم يتبادلون أطراف الحديث لاحظ حسن نقطة حمراء تتحرك على سترة عمر المنتفخة بالذخيرة. أيقن أنها لقنّاص سترمي رصاصته إلى قلب عمر الذي قد فتح شراعيه للقتال. هل لصديق وفي كحسن ترك صديق الطفولة تفتك به رصاصة العدو؟! لم يفكر حسن كثيراً ولم يعد لديه الكثير من الوقت. رمى حسن بنفسه أمام صديقه

عمر لتدخل الرصاصة بقلبه. قلبه النقي الذي لم يرضَ أن  
تدخل الرصاصة قلب عمر. وقع حسنُ أرضاً وقد وقع  
معه مستقبل مشرق. تأهّب العناصر محاولين فتح  
الاشتباك. سحب عمر صديقه حسن إلى الغرفة راجياً إياه  
عدم مغادرة الدنيا. عدم تركه وحيداً في غابة الحياة. لفظ  
حسن كلمته الأخيرة : لم يقبل قلبي أن أراك شهيداً فاختار  
الشهادة لنفسي. أوصيك بأمي وحنين، قل لها أنني أحببتها  
كثيراً. لقد وعدتها أن تسمي ابنتنا التي ننتظرها كما تريد.  
قال حسن هذه الكلمات ثم نطق الشهادة وقال : أشهد أن لا  
إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله. أغمض عينيه  
مودّعاً الحياة وفلسطين إلى الأبد. تاركاً وراءه قلوباً تتمزق  
لفراقه. لقد خسر عمر أعزّ أصدقائه. صديق طفولته الذي  
شاركه أحزانه وأفراحه. مات حسن الذي شاركه الطعام  
والشراب. لقد خسرت فلسطين شهيداً آخر. عجز لسان  
عمر عن الكلام. اكتفى بالصمت والبكاء. علمت القيادة  
باستشهاد حسن، وأمرت بدفنه في غزّة وأمّنت سلوك  
القافلة التي ستحمل الجثمان من طريق آمن وسالك.

أشرفت شمس الصباح. ذلك الصباح الكئيب. تمّ غسل  
الجثة بماء من القدس، وتجهيزها للرحلة الطويلة. جلس  
عمر مع صديقه ككل صباح، ولكن تغيّرت العادة الآن. إنّه  
يجلس مع جثة حسن لا مع حسن. افتتح عمر الحديث هذه  
المرّة وعيناه تمطر دموعاً على غياب الأخ والصديق  
والسند: آه يا حسن، لماذا فعلت بي هذا؟ لماذا غادرت  
الدنيا باكراً؟ ألم نقسم على الموت معاً؟ يا لقباحة الموت!  
أخذك مني وأخذ من فلسطين بطلاً لطالما حلم بالموت في  
سبيلها. أتعرف يا صديقي لقد اشتقت لك منذ الصباح  
الأول، لعينيك اللتين تغرقان حين ضحكك مع كل فجر؟!  
كيف لي أن أعتاد على فراقك؟ ها أنت تعود إلى غزّة  
بطلاً وشهيداً. غزّة التي شهدت على أولى تحركاتك  
وترابها الذي لامس قدميك الصغيرتين. سأزورك في كل  
زيارة لي لغزّة. من سيشاركني ليل السهر في غابة الحياة  
الموحشة؟! أتعرف أنّ وجهك كان ابيض ناصعاً عند غسل  
جثتك؟ إنّك الآن بمكان أجمل ويليق بك. وعدّ عليّ أنّ  
أسمّي بكري حسن. يا ليتك تركت الرصاصة تخرق قلبي.  
ليتك لم تحمني لكنك اليوم مكانك. كم أنت نقي ولأكن

صادقاً لم أكن لأترك الرصاصة تخرق صدرك. ليتنا  
استشهدنا معاً لكننا تشاركنا الموت معاً.

انطلقت القافلة وعينا عمر لم تتوقفا عن البكاء. كيف  
لقلبه أن يتحمل غياب روحه؟! كيف له أن يعيش بلا  
روحه؟! لقد خسر حسن روحه فعلاً. عندما يفقد الانسان  
أحداً عزيزاً على قلبه يبیت ليالیه عندها غارقاً في حزن  
وكآبة لا ينتهيان. هكذا سيمضي عمر أيامه القادمة.  
وصلت القافلة ظهيرة اليوم التالي إلى مشارف غزة. لمح  
مالك القافلة، وأسرع إلى أخيه مواسياً إياه. وصلت العربية  
إلى بيت والدته حين تواجدت زوجته أيضاً. فتحت الأم  
باب المنزل وبيديها إبريق الماء لترى ابنها في تابوت على  
الاكتاف. أفلتت الإبريق من يديها لتترك أجزاءه تتكسر مع  
كل ارتطامه بالأرض. أعلت صوتها مطلقاً العنان  
لصرخة الروح تبكي على فلذة كبدها الذي مات كما تمنى.  
تمت الصلاة على الجثة ثم دفنها. ذهب المعزّون وبقي  
عمر مع صديقه كما اعتاد أن يفعل. أخذ حفنة تراب  
ووضعها بصرة مصنوعة من قميص حسن القديم وأردف:  
هذا التراب تراب قبرك لقد وضعته في صرة مصنوعة

من قميصك لأشم رائحتك أينما ذهبت كي لا أفقدك. لتبقي  
معي في كل لحظات حياتي كما اعتدت.

عاد عمر إلى منزله ودخل غرفته، ألقى بنفسه الثقيل  
على سريره وكأنه يرمي بنفسه في بحيرة الدموع.

- مساء الخير يا مرام.

- مساء النور عمي، كيف حالك؟

- بخير يا ابنتي، أين عمر؟

- الحمد لله، منذ عودته لم يخرج  
من الغرفة. أقفل على نفسه، ولم يدخل الطعام  
فمه.

- سامحك الله يا مرام، لم لم

تتاديني؟

- لم يخطر ببالي، لقد حملت همك.

- لا تقلقي، سأوقظه.

صعد ضرغام الدرج، وصل إلى باب الغرفة، طرقه  
مرّة اثنتين ثلاث. "خلع" ضرغام الباب، فسمّ عمر بالله  
واستيقظ مرعوباً.

- سامحك الله يا عمّي.

- ما بك يا بُني. استيقظ. أستبقى

هكذا دون طعام ولا شراب!؟

- ليس بي حيلٌ.

- شدّ حيلك، أمامك أعمال كثيرة.

عظّم الله أجرك.

- شكر الله سعيك. أعمال ماذا؟

- ستمضي الشهرين القادمين هنا في

غزة. ثم ستذهب إلى القدس بعدها. ستستلم

قيادة العناصر هنا. فأنا مسافر إلى يافا،

وسأعود بعد سفرك إلى غزة!!

## أجساد هزيلة

أثناء الاحتلالات والحروب يصبح تأمين الطعام معجزة مستحيلة، فيقطع المؤن والمواد الغذائية يمسي تأمين لقمة العيش صعباً. والشرفاء يفضلون التضور جوعاً على أن يسدّوا رمقهم بلقمة مغمّسة بالذلل والخيانة.

أخذ عمر زوجته وراحا يلفّان أزقة المدينة، أجساد هزيلة مستلقية على الأرض، أطفال وشبان يبحثون عن الطعام في القمامة، فقد انتشرت آفة المجاعة في غزّة بعد قطع المؤن والحصار المشدّد عليها. غير عمر مساره وتوجّه نحو ابن عمّه صهيب لإيجاد حلّ للوضع الكارثي.

- الوضع مأساوي هنا يا صهيب.  
أجساد هزيلة وضعيفة موزّعة على جوانب الطرق. يجب أن نجد حلاً.

- والله صدقت يا عمر. لا يحتمل الأمر أي تأجيل. يجب علينا الإسراع قبل خسارة المزيد من أطفالنا وشبابنا وبناتنا.

- ليتك معي يا حسن لكنت أنقذتنا  
بحلولك العجيبة.

- رحمة الله عليه. هل اطلعت  
القيادات العليا على الأمر.

- نعم، وطالبوا بحلّ المشكلة في  
أسرع وقت ممكن.

- ساعدنا يا ربّي.

- سأمر على شباب المقاومة  
الموزعين في الأحياء. وسأعود إلى المنزل  
صباح الغد. أوصل مرّام إلى البيت، وأخبرها  
أن لا تنتظرنني.

- أمرك على رأسي، لا تذهب  
وحدك، فقد تمّ استهدافك قبل أيام.

- لا تقلق، سيذهب معي ثلاثة  
شبان.



سار عمر إلى الأحرار متفقداً العناصر وأمضى ليلته  
برفقتهم. لقد تحملّ عمر مسؤولية كبيرة، مسؤولية مدينة  
بأسرها محاصرة من قبل الاحتلال. مسؤولية آلاف  
العناصر والرجال الموزعين في شتى الأزقة. خاف عمر  
من الفشل مجدداً. الفشل ليس عيباً. لا بل نتعلم من فشلنا  
الأول، ولكن العيب تكرر الفشل.

أشرقت شمس الصباح، ها هي الصباحات الكئيبة  
تعود لتطرق أبواب عيني عمر. توقظهما وتذكره  
بالمشكلات المحيطة به. عاد عمر إلى منزله وقد وجد  
زوجته تعدّ فطوراً، ذلك الفطور المعدّ من كسرات خبز  
وثلاث حبّات زيتون، بيضتان مقلتان وكاسة حليب.

- صباح الخير يا عمر، سمّ بالله  
وكلّ.

- صباح النور يا مرام. كيف لي أن  
أكل والناس يتضورون جوعاً.

- والله، الحقّ معك، ولكنّي اردت إخبارك بشيء هام.
- أسمعك.
- لما لا نأتي بدعم من القدس ويافا ومدن أخرى؟
- كيف لنا أن ندخلها وغزّة تحت الحصار؟
- من الخنادق السريّة.
- ومن أخبرك بوجود خنادق سريّة؟
- أعرف ذلك منذ كان والدي في المقاومة.
- وإذ حصل وأدخلناه من الخنادق، كيف لنا أن نوزّعها؟

- نقسمها إلى حصص متساوية،  
نوزعها أنا والفتيات، ولا حلّ آخر، أنت كفيل  
بهذه المدينة وسلامة أهلها.

- والله إنك ابنة أبيك.

ذهب عمر ليجري اتصالاته مع القيادة، وعاد مبتسماً  
ليبشرها بوصول الدعم صباح اليوم التالي. مضى ذلك  
النهار بتوزيع الحليب من بقرات مزارع المدينة.

حلّ ليل اليوم التالي. تمّ توزيع العناصر لوصول  
الأمانة سالمة غانمة. أُدخلت المؤن إلى بيت عمر. جلست  
النساء يقسمن المؤن بالتساوي إلى حصص، وراح الشباب  
يكتبون سجلات العائلات ليتمّ التوزيع بالعدل والإنصاف.  
تمّ توزيع المؤن على الجميع، تكرّرت الحالة هذه على  
مدى شهر كامل، وفكّ الحصار بعد ذلك عن غزّة وعادت  
قافلات التجار لتدخل بشكل طبيعي.

جلس عمر وزوجته ككل مساء. إنّها الساعة التاسعة.  
طُرق باب المنزل على غير العادة، إنه طرق بالبندقية.

فتح عمر الباب ليُصدم بجملة تُرجمت من العبرية على  
لسان خائن : " أنت مطلوب للقيادة الإسرائيلية".

## سجين بلا جناية

رافقت الليل في سهري. شاركت الفنران طعامي.  
وحيداً بين أربعة جدران أحاكي نفسي. كبتها عمر على  
جدار السجن بطبشورة قد رميت له من شبّك باب  
الزنزانة. إنّه اليوم الرابع الذي يمرّ على عمر. لا يعرف  
جريمته، ولما هو هنا. وبينما هو جالس على الفراش  
الوحيد الذي أكلت الجرذان نصفه، دخل جندي إليه، أوماً  
له بالوقوف، كبّل يديه، وأخذ به نحو ضابط كبير. تتمم  
الضابط بضعة كلمات عبرية لم يفهم عمر معناها، فترجم  
أحد الجنود قائلاً:

- لقد تمّ إدخال المؤن إلى المدينة  
عند حصارها، والشكوك تدور حولك.

- لم أفعل شيئاً كهذا.

- لقد فعلت، وستقول لنا من  
ساعدك.

- لن أكرّر ما قلته مرّتين. لقد قلت لك لم أفعل شيئاً كهذا.

رفع الضابط يده وضربه وأضاف :

- ستعترف بـ "جريمتك" وتخبّرنا بتفاصيلها.

- كيف لي أن أعترف بشيء لم أفعله؟!!

- إن اعترفت لنا بالتفاصيل، سنغفرك عنك.

- هل لي أن أصدّق العدو.

- يا للوقاحة، أدخلوه الزنزانة مجدّداً وسلّموه للشمالي.

لم يفهم عمر كلمة واحدة، ولم يجد نفسه إلا مرمى في زنزانة مع رجل ضخم ذو عين واحدة، كادت عروق يديه أن تقفز إلى الخارج. جلس عمر على الفراش وما كاد

يرمي نفسه حتى أمسك الشمالي به من سترته ومزّقها. سمّ عمر بالله وانتفض واقفاً وصفعه الضربة الخماسية. لم يتحمّل الشمالي قوّة الصفعة، وقع أرضاً، ثم حاول الوقوف ليتلقّى الصفعة الثانية. داخ الشمالي وارتمى أرضاً، أسرع الضابط معتقداً أنّ عمر قد انتهى أمره، ليرى الشمالي منهكاً على الأرض.

- هل هذا أقوى ما عندكم؟

- ما شأنك؟ ماذا فعلت به؟

- ما كان ينوي أن يفعل بي.

سكت الضابط وتمتم في أذن زميله: إنه رجل قوي. لقد هزم أقوى جندي لدينا. يجب علينا أن نجلبه إلى صفنا. أمر الضابط بإدخال عمر إلى مكتبه مجدداً.

- يبدو أنّك لن تعترف؟

- كيف لي أن أعترف وأنا لم أفعل شيئاً.

- لدينا عرض لك. سننهي سبّك السابق ونفتح صفحة جديدة.
- مقابل ماذا؟
- دخولك العسكر الإسرائيلي.
- وإن لم أقبّل؟
- لعدم شناً.
- أفضل أن أعدم شناً على أن أخون ترابي ووطني وقضيتي.
- لديك يومان للتفكير.
- حُسم القرار. طبّقوا أمر الإعدام غداً.
- غداً إعدامك. استعدّ لأجلك.
- لا بل هي الشهادة التي لم تفهم معناها.



- زوجتك تريد لقاءك. لديك خمس دقائق فقط.

خرج الضابط من الغرفة المليئة بأجهزة التنصت، وترك عمر مع زوجته يوَدِّعها للمرة الأخيرة.

- أعرف أن طبخ السجن سيء فجلبت لك من طبخي.

- آه يا مرام. سلمت يداك.

- أريد إخبارك بشيء هام.

- أسمعك.

- ستصبح أباً.

- وأخيراً سأصبح أباً يا مرام. اسمعيني، عديني أن تسميه حسناً.

- لما لا تسميه بنفسك؟

- غداً إعدامي.

سكتت مرام باكية ليقاطعها الضابط بانتهاء الوقت.  
انصرفت مرام وعاد عمر إلى الزنزانة. إنها الساعة  
الخامسة. أخرج عمر طبقه، وحيداً كما اعتاد، وبينما هو  
يتناول اللقمة الأولى وجد رسالة صغيرة استخرجها وقرأها  
بصمت : تحياتي لك، أنا ضرغام، لقد عدتُ من يافا  
وعلمت بما حصل. لدينا عناصر مقاومين جواسيس معنا  
في السجن، وعلمنا بقرار إعدامك غداً. الجندي الذي يقف  
على باب زنزانتك مقاوم جاسوس لنا. عند قراءتك هذه  
الرسالة وانتهائك منها قل مرتين: إنَّ بعد العسر يسراً، إنَّ  
بعد العسر يسراً.

فعل عمر كما أمر به، فُتح له الباب، رُميت ثياب  
جنود إسرائيلية، وبصوت خافت: ارتديها بسرعة.

ليس عمر الثياب، طرق الباب ثلاث مرّات، فتح  
الجندي له، وذهبا معاً نحو ممرّ سرّي، أدّى بهما إلى  
أحراج غزّة.

أوصل الجندي عمر إلى المقاومين وعاد إلى الثكنة.  
حضر عمر إخوانه المقاومين، جلس معهم حتى جاء العم.  
أخذ ضرغام ابن أخيه بالأحضان، وأضاف:

- حمداً لله على سلامتكم.

- الله يسلمك.

- لقد أخبروني بكل ما حصل. وأنا  
فخور بك لحالك المشكلة.

- تلاميذك نحن يا عم. لم تخبرني  
هل سألني هنا في الأجراس؟

- بالطبع لا، أنت مطلوب للإعدام،  
لقد هربت. بقاؤك في غزة مستحيل. سنتنقل  
للعيش بالقدس.

- مرام وأخي وأمي، هل سيبقون  
هنا؟

- ستسافر مرام إليك بعد ولادتها  
بشهر. أمّا أمّك فقد أقسمت أن لا تذهب من  
غزّة.

- ومتى سأسافر إلى القدس؟

- اليوم مساءً من الطرقات الآمنة.

جلس عمر وحده يفكّر كم تغيّرت به الحال. ها هو  
الآن مطلوب هارب. فقد صديقه، ولن يرى زوجته إلا بعد  
ولادتها. كيف لعمر أن ينسى كل هذه المآسي؟ وهل  
النسيان حلّ؟ ها هي الحياة تدور به ليعود وحيداً كما  
اعتاد. وحيداً بلا أحبّة. لا حلّ سوى التآلم مع الحياة  
الظالمة.

## هوية جديدة

في زمن الحروب لا استقرار ولا أمان، لا حلّ سوى التأقلم. التأقلم مع الموت، مع الفراق، مع الجوع، مع الأيام الصعبة، مع الوحدة القاتلة. في بعض الأحيان تكون الوحدة والعزلة كلّ ما نحتاج. وفي أحيان أخرى يقتلنا. ففي النهاية نحن بشر، ولدينا مشاعر، نحبّ من يهتمّ بنا، من يهتمّ لحزننا، من يواسينا، ويشاركنا آلامنا وأحزاننا. عندما تبقى وحيداً تتجرّد من هذه الأشياء، من الأشياء البسيطة التي قد تعني الكثير للبعض، فعندها نقتلنا الوحدة والعزلة.

ها هي قافلة عمر وصلت القدس. في كلّ مرّة يبدأ عمر بها بحياة جديدة سرعان ما تنتهي بمشكلة ما. ذهب عمر كعادته لزيارة قبر والده، وبعدها توجه صوب أحراج القدس حيث خدمته. (أفتقد حديثك في سهري، أشتاق لضحكتك في صباحي، أحنّ إلى قهوتك في فراغي، أتوق إلى حضنك في الآمي) كتبها عمر لصديقه حسن كرسالة يعرف أنّها لن تصل، فالشوق حلّه الكتابة.

لقد مرّت عدّة أيام على هذه الحال، الأوضاع جيّدة في القدس، لا اشتباك. افتتح عمر صباحه بسعلة قويّة لم يكثرث لها، لكن مع مرور عدّة أيام، تفاقمت عدد سعلاته القويّة التي خرقت آذان إخوانه.

- ما بك يا عمر، لقد سعلت كثيراً اليوم؟
- ليس بالشيء المهم، أظنّ أنّه زكام.
- لا يا عمر، ليست سلعة زكام. فليرك الطبيب قبل أن يتطوّر الأمر.
- أيّ تطوّر يا فهد؟ على كل حال استعدّ سننزل إلى المدينة قبل الفجر.
- ولما سننزل؟

- ما أكثر أسئلتك يا فهد. سنستقرّ  
أنا وأنت وثلاثة شبّان من رجال المقاومة في  
القدس. لدينا مهمّة سرّية.

أمضى عمر وفهد ليلتهما تحضيراً وتخطيطاً لنزولهم  
للقدس. ولمهمّتهم السريّة الخطرة. اجتمعت عقارب الساعة  
عند الساعة الثانية والنصف فجراً، ساعة ويصل الشابان  
إلى الأقصى، وبينما هما على الطريق، تفاجأ عمر من  
سؤال فهد الفضولي.

- ما هذه الصّرة التي تحملها أينما  
ذهبت؟

- إنّها صرّة تراب.

- تراب؟ وما لك فائدة من التراب؟

- تراب قبر يا فهد.

- قبر مَنْ؟ وهل سأسحب الكلام  
منك سحياً؟

- تراب صديفي الشهيد.

- وكيف استشهد؟

اغرورقت عينا عمر بالدمع وأجابه والحسرة في  
عينيه :

- لم يرضَ قلبه رؤيتي شهيداً.

- آسف لفتح جرحك، ولكني لم أفهم

بعد.

- لم يرضَ أن تدخل الرصاصة

قلبي فغادر الدنيا فداءً لروحي.

توقف لسان فهد عن النطق، لام نفسه لحشرّيته الفائقة.

توقف حديثهما إلى حين وصولهما الأقصى. صلّيا الفجر،

وتوجّها إلى بيت القائد محمد حيث انتظرهم الشبان الثلاثة.

- السلام عليكم يا عمر، السلام

عليكم يا فهد.



- وعللكم السلام قائدي.

- لقد وصلتنا الأخبار إلى هنا،  
تعازي لك، لقد خسرنا مقاوماً وبطلاً من  
أقوى الرجال عندنا.

- شكر الله سعيك.

- أولاً ستأخذ هوية جديدة يا عمر  
بكنية جديدة، وستأدى بلبك. أي الغزّاي.  
ستغيّر من شكالك قليلاً، وكما تعلم أنت  
مطلوب للعدو. وقد عمّم اسمك على جميع  
المدن.

أكمل القائد محمد شرح المهمة للعناصر. إنّها عملية  
اغتيال ليست بالأمر السهل. اغتيال جنرال من قادة جيش  
العدو الإسرائيلي. خمسة شبّان من أقوى المقاومين من  
مدن متعددة. من الخليل ومن يافا، من حيفا ومن غزّة.  
مضى اليوم بالترتيب لعمل الليل، غابت الشمس، إنّها  
الساعة الثامنة. راقب الفهد والخليلي بيت الجنرال.

- من الخليلي إلى الغزّاوي، لقد  
دخل العصفور إلى القفص.

- من الغزّاوي إلى الخليلي، إنزلا  
أنت وفهد إلى البوابة وتولّيا الأمر.

نزل فهد والخليلي إلى البوابة حيث الحارسان،  
سألوهما عن أقرب مشفى. أجابه الحارس وأدار ظهره،  
التقطه الخليلي من الخلف وطقّ رقبتّه. أمّا فهد فتولّى أمر  
الحارس الثاني وقتله خنقاً. سحب المقاومان الجثتين إلى  
الحرّج المقابل للمنزل، ودخلا البيت مسهّلين أمر دخول  
بقية افراد العملية. تولا ابنا يافا وحيفا أمر الجنود في  
الحديقة، ووضعوا حدّاً لحياتهم بالأسلحة الصامتة. دخل  
الغزّاوي المنزل من النافذة العلوية لغرفة الجنرال، ووجده  
جالساً على مكتبه يكتب رسالة ما. وضع المسدس في  
رأسه مخبراً إياه بالإنكليزية :

- لا صوت وإلاّ أفتلك.

- ماذا تريد منّي؟

- أريد المستندات والأوراق  
والوثائق التي تخصّ القدس أجمع.

- في الخزانة في الرف العلوي  
خزنة رمزها ٢٢٠٠ توجد داخلها الوثائق  
كلّها.

أسرع ابن يافا إلى عمر، فتح الخزانة، وأخذ الوثائق،  
أردف عمر:

- هل تبحثون عن هارب مطلوب  
للإعدام؟

- نعم، ما أدراك؟

- ما اسمه؟

- عمر، من غزّة.

- معك عمر شخصياً.

دخلت الرصاصة رأس الجنرال، إنقط عمر ورقة  
بيضاء من على سطح المكتب وكتب عليها باللغة  
الإنكليزية : **Omar Did It Wait For More** ( عمر فعلها  
إنتظروا المزيد)، وتركها إلى جانب جثة الجنرال الممددة  
على الأرض.

وصل الشبان بيت قائدهم

- حمداً لله على سلامتكم، شاهدوا  
الأخبار تنقل مقتل الجنرال (قالها القائد  
محمد).

أهلاً وسهلاً بكم مشاهدينا الكرام، ننقل إليكم من القدس  
مباشرة مقتل الجنرال الكبير وليام وترسن في القدس حيث  
إقامته، ننتقل إلى مراسلنا من القدس مباشرة.

أهلاً وسهلاً بك، لقد تمّ قتل جميع الجنود المتواجدين  
في المنزل، وتمّ أخذ الوثائق المهمة التي خبأها الجنرال  
في خزنته الخاصة. ووجدنا رسالة إلى جانب جثة الجنرال  
القتيل مكتوب فيها : عمر فعلها، إنتظروا المزيد. وبعد

استفسارنا من الضابط المتواجد هنا حالياً أنّ عمر هو هارب مطلوب للإعدام، يعمل مع المقاومة الفلسطينية، و حالياً لم يتمّ التصريح عن أيّ شيء يخصّ عملية الاغتيال.

هنأ القائد محمد عناصره على حسن تنفيذ المهمة التي كانت موكلة إليهم، وأوصل لهم سرور القيادة بنجاح المهمة، وأمرهم بدراسة الوثائق.

مرّت أيام والشبان الخمسة في بيتهم الجديد يطلعون على الوثائق. يدرسونها بدقة. وكما يُقال : ( كباية شاي رايحة وكباية شاي جاي)

- السلام عليكم يا رجال، لديكم مهمة جديدة.

- وهل هي عملية اغتيال؟ قال ابن حيفا.

- لا، بل عملية خطف الضابط الذي تواجد في منزل الجنرال بعد قتله.

- يسعد دينك .

ترك الشبان الوثائق من يدهم، وجلسوا يستمعون إلى قائدهم. عادت نوبة السعال للغزاوي. حاول حبسها، ولكنه لم يستطع. فانخفض الأوكسجين من جسده وكاد أن يختنق. أسرع الخليلي لنجدته، وأخذ شهيقاً زفيراً، تحسّن بعض الشيء.

- لا يجوز يا عمر، يجب أن يراك الطبيب. سعالك قوي جداً.

- أعرف يا قائدي، ولكن لا وقت لدي.

- يا عمر، قد تفشل عملية بأسرها إن انخفض الأوكسجين من جسدك مرّة أخرى. سأخذك إلى طبيب أعرفه.

أعطاه الطبيب دواء ليتحصّن عليه. ليس من عادات الغزاوي زيارة الطبيب، فهو لا يحبّ الأدوية، ولا يتوكّل إلّا على الله، ولكنه وضع تحت الأمر الواقع.

## الوجه الأخير

عندما يقبض شبح الموت روحك ترى وجهاً أخيراً.  
الناس المحظوظون يرون أشخاصاً يحبونهم، أما  
الأشخاص الذين يخالفهم الحظ فيرون وجه عدوهم كوجه  
أخير.

ها هم الشبان يستعدون لعملية خطيرة وجديدة. توجه  
الخمسة بسيارة قادها فهد إلى كوخ يبني به الضابط آحاده  
(أيام الأحد) مع أحد أصدقائه الملقب بـ "إدوارد". يحرس  
الكوخ أربعة جنود.

- من ابن يافا إلى الخليلي، لم يصل  
إدوارد بعد، واتباعاً لما قاله القائد، خمس  
وأربعون دقيقة وسيصل، يجب علينا إتمام  
المهمة قبل وصوله.

- من الخليلي إلى ابن حيفا، ماذا  
يفعل الضابط حالياً من منظرارك؟

- من ابن حيفا إلى الخليلي يشاهد  
التلفاز.

- من الغزّاوي إلى ابن يافا وفهد،  
تولّيا أمر الجنود الأربعة بالأسلحة الصامتة.  
الخليلي وابن حيفا راقبا الطريق.

- من ابن حيفا إلى الغزّاوي، عليك  
الأمان أدخل.

تقدّم ابن يافا وفهد من الجنود الأربعة دون ان  
يشعروهم بشيء، ثمّ قاما بتصفيتهم بالأسلحة الصامتة.

لبس عمر قفازين أسودين وغطّا وجهه جيّداً ودخل  
من نافذة الكوخ الخلفية، وجد الضابط يشاهد التلفاز.

- مفاجأة. ولا حرف وإلاّ أقتلك.

حقنه الغزّاوي برقبته حقنة جعلته مغمىً عليه. وفيما  
تولّى الخليلي واليافي سحب الضابط إلى السيارة بعد



تكبيله بشكل جيد، ووقع عمر رسالته الشهيرة : Omar Did  
( It Wait For More ) ( عمر فعلها، إنتظروا المزيد).

توجهت السيارة إلى مستودع قديم، كان قد أرسل  
موقعه القائد محمد لعناصره، ربط فهد الضابط بالكرسي،  
وكلب يديه بإحكام. في هذه الأثناء وصل إدوارد إلى الكوخ  
ليجد الجنود الأربعة قد قتلوا. بحث عن صديقه فلم يجده.  
اتصل بقائد الضابط وأخبره بما جرى وبالرسالة المتروكة.  
جنّ جنون القائد وأمر بالبحث عن عمر في القدس فموت  
الجنرال، وأخذ الوثائق، وخطف الضابط كلّها من فعل  
عمر.

استيقظ الضابط، تأهّب الشبان الخمسة.

- ماذا تريدون مني؟

- كل ما تعرف.

- وهل لي أن أقول لي كلّ ما

أعرف وأفصح سرّ مهنتي؟

- أنت ستختار الموت أم الاعتراف.

- لن أعترف.

- أيها الخليبي، تولّى الأمر.

دفع الخليبي يده وصفعه أول صفة، داخ الضابط، وما إن تلقى الصفة الثانية حتى صرخ بأعلى صوته : حسناً سأعترف لكم. توقف الخليبي عن الضرب، وجلس عمر مشيراً له أنه يسمعه. تكلم الضابط ولم يسكت لنصف ساعة .

- هذا كلّه نعرفه، إنه موجود بالوثائق. أريد تقسيمات الجنود في الأقصى. توزيعهم في الأحراج. عددهم على المشارف. مهماتكم السريّة. أسماء المتسلّين إلينا.

- لا أعرف كلّ ما تقوله.

لم ينتظر فهد إشارة من الغزّاوي. رماه بسطل من الماء البارد فغرّد مثل العصفور عن كلّ ما يعرفه. وفجأة رنّ هاتف الغزّاوي.

- ألو تفضّل يا قائدي.

- نعم، لقد تمّ اختطاف عمّك  
ضرغام.

- وما جاء بعمّي ضرغام إلى  
القدس؟

- جاء بمهمّة سرّية، وخطّف على  
مشارف القدس.

- وما الحلّ؟

- أراد قائد الضابط الذي بحوزتنا  
أن يساوم الضابط على ضرغام. ولا حلّ  
آخر.

- والمطلوب؟

- سأرسل لك موقعاً تذهبون إليه.  
ستتم المساومة هناك.

ذهب الغزّاوي مخبراً إخوانه عن التطوّرات الأخيرة  
ليرد عليه الضابط الإسرائيلي بطريقة مستفزة، وكان  
يعرف العربية ويتكلمها بطلاقة:

- لم تقتلني، ولن تقتلني، بل  
ستكون نهايتك على يدي.

- والله أعدك أنّ وجهي سيكون آخر  
وجه تراه قبل موتك.

ذهب الشبان إلى الموقع المحدد، تمت المساومة،  
وعادوا إلى منزل القائد محمد مستفسرين عن عملية  
خطف ضرغام.

مرت أيام والشبان لا يعملون، جالسون يدرسون  
الوثائق. نجاحات كثيرة ترفع الرأس، أصبحت حياة عمر  
مكتنّة بالمغامرات الخطرة، في كلّ صباح يتصل بزوجته  
وأمه، وفي كلّ مساء يحاكي تراب صديقه حسن الذي لا

يفارقه. بعد كل صلاة جمعة يزور قبر والده. لقد أمسى  
عمر وحيداً في القدس حتى ضرغام عاد إلى غزة. كم أنها  
حياة ظالمة، من نحبهم يذهبون باكراً، يفتلنا الشوق إليهم،  
نبتعد عن أحبائنا لأنّ ظروف الحياة تشاء أن تفرّقنا عنهم.  
هل لنا أن نتحمّل ما تحمّله عمر الغزّاوي؟ كم أنه رجل  
قوي! كيف له أن يبقى صامداً أمام أمواج الحياة هذه؟!

## وفيت بو عدي

الوعد كالقسم، يجب عليك تنفيذه ولو على قطع رأسك، إذ لا يمكنك تنفيذه لما وعدت به. لقد تحسّن الغزّاوي ولم تعد له نوبات السعال القويّة. إنّها صباحية نهار الجمعة. جلس الشبان كعادتهم يشربون الشاي ويتبادلون أطراف الحديث.

- لقد سئمتنا أيّها الغزّاوي، منذ أسبوع ولا مهمّات.

- الحقّ معك يا ابن يافا، ولكن الخطر محيط ومحدق بنا، ولم يأت أمر من القيادة بعد.

- إلى متى؟ سنموت ونحن ننتظر أمر القيادة.

- لا تتدمّر، إصبر وسيأتي الفرج قريباً.

في هذه اللحظات رنّ هاتف الغزّاوي، تتحّى بعيداً ثم  
عاد بعد دقائق :

- بشرّ يا عمر.

- إنّها معركة يا سادة.

تأهّب الشبّان منصتين إلى الغزّاوي، مزيد من جنود  
العدو سيغادرون الدنيا. جنود العدو قد هاجموا بلدة في  
ريف القدس يريدون الاستيلاء على مزروعاتها.

ها قد وصل عناصر المقاومة إلى تلال البلدة ومعهم  
عدد كبير من المقاومين. اتخذ الجميع أماكن مختلفة. فُتح  
الاشتباك. اختبأ نسوة البلدة وأطفالها في منازلهم. أمّا  
الرجال فسارعوا لنجدة ومساندة المقاومين. اشتباك دام  
لساعات لم يبقى فيه سوى خمسة جنود وقائدهم. نزل  
المقاومون إلى البلدة.

- أيّها الغزّاوي لقد استشهد أربعة  
من رجالنا.

- رحمة الله عليهم. فلندفنهم هنا، فلا  
يمكننا تمرير الجثث إلى المدينة.

- هناك خمسة جنود من قوات العدو  
تمّ أسرهم أمّا قائدهم فتركناه لك في الميدان.

أعاد رجال المقاومة المزروعات إلى أهالي البلدة،  
وتوجّه الغزّاوي إلى ضابط جيش العدو.

- أهلاً وسهلاً بالضابط سام.

- أنت مجدداً؟

- ألم أقل لك أنّ وجهي سيكون آخر  
وجه تراه.

اقترب الخليلي من الغزّاوي ليخبره بأمر قد استجدّ في  
ناحية من نواحي البلدة، انتهز الضابط الفرصة وحاول  
الغدر بعمر غير أنّ عمر انتبه له وطعنه بسكين كانت بيد  
الضابط، ثمّ أرسل بطرد يوحي بموت الضابط وأرفق



الطرد بتوقيعه الخاص والشهير : Omar Did It Wait For :  
More ( عمر فعلها إنتظروا المزيد).

عاد الشبان إلى مركزهم وقد ضجت الأخبار بمقتل  
الضابط وبالرسالة الشهيرة التي صارت تتكرّر مع كل  
عملية نوعية جديدة.

عُمّ اسم عمر على الجميع. مبلغ مادي لمن يخبر عن  
مكانه. هل يا ترى أصبح موت عمر قريباً وهو المتواري  
عن الأنظار والذي بات بحكم الميث في أخبار الناس!؟

## سلام لروحك

في الحروب يطاردك شبح الموت ولا يمكنك الهرب منه، شئت أم أبيت سيقبض روحك يوماً ما، بهذه سنة الحياة، ستموت عاجلاً أم آجلاً، ستفترق عن أحبائك، ستتذوق طعم المآسي، تلك هي الحياة.

مضى يومان على قتل الضابط ولم يتم إيجاد عمر. البلدة تحت مراقبة المقاومة، أية حركة من العدو تفتح الاشتباك. لبس الخليي ثيابه، صبح على أصدقائه، إستأذنه ليزهد إلى ساحة القدس القريبة بغية شراء بعض الحاجات للمنزل. وصل الخليي الساحة، دخل دكان أبي سمير، جلس يشرب الشاي معه كعادته في كل زيارة.

- كيلو سكر، كليان من اللبن، كيلو

لبننة، كيلو جبنة...

- على عيني، دقائق وأحضره.

- ما هذا الصوت يا أبا سمير؟

- دقائق لأرى ماذا يجري.
- أنتظرك.
- إحق يا خليلي إحق.
- ماذا يجري؟
- إنهم ينزلون العلم الفلسطيني  
ويضعون مكانه العلم الإسرائيلي.
- فقد الخليلي صوابه، وجنّ جنونه، أسرع نحو الجندي  
الذي يُنزل العلم، وكلمه بالإنكليزية :
- ماذا تفعل؟
- أعلق علم "الدولة" هنا.
- لم يعيش بعد من قال إن القدس  
عاصمة "إسرائيل"، لا يمكنك تعليق العلم.
- ومن أنت لتمنعني؟

- أنا الخليلي، إسأل عني.

لم يكثرث الجندي لكلام الخليلي، نزل وقد أنهى تعليق العلم، لم يتحمّل الخليلي رؤية هذا المشهد، رمى به أرضاً، تسلّق العامود، ومزّق العلم الإسرائيلي، وأعاد رفع العلم الفلسطيني منادياً بأعلى صوته : القدس عاصمة فلسطين.

أسرع الضابط، رفع بندقيته وصوبها نحو الخليلي وأطلق رصاصته الثلاثة على الخليلي من دون إنذار، ليودّع الخليلي الحياة للأبد. سمع الشباب صوت الرصاص، اسرعوا لنجدة صديقهم ليجدوه قد سلّم أمانته وروحه وانتقل إلى رحمة الله.

كُفّن الخليلي ليدفن في مقبرة الأقصى كما لطالما حلم. لقد خسرت كتائب القسام شهيداً آخر، وخسر عمر الغزّاوي صديقاً آخر.

أمست إقامة الشبان الأربعة في القدس خطراً عليهم، فقد كُشفت وجوههم عند دفن الخليلي. سيكشف أمرهم.

جلس القائد مع الشبان الأربعة: كما تعرفون لدينا  
متسللون يعملون معنا داخل جيش العدو، وقد تمّ كشف  
هواياتكم، وصلتنا معلومات أنّ المنزل ستتمّ مدهمته غداً.  
تمّ إرسال الوثائق إلى القيادات العليا، أمّا أنتم فيجب عليكم  
السفر إلى رام الله قبل بزوغ الفجر!

## إلى رام الله

الاعتیاد على السفر والتنقل بين المدن، التأقلم مع خطر الموت الذي يحيط بنا هو من أساسيات خوض الحروب. ها هم وصلوا إلى إخراج رام الله، سألوا عن منزل أبي سعد، وصلوا المنزل، إنها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. طرق الغزّاوي باب المنزل.

- من الطارق؟

- أنا الغزّاوي.

- يا أهلاً وسهلاً بكم، تفضلوا.

- الفضل لك. هل سنقيم هنا؟

- نعم سنقيمون هنا، وستكونون

تحت إمرتي إلى حين مغادرة رام الله.

- هذه الرسالة من القائد محمد وقد

أخبرنا أنّ لدينا مهمة عند وصولنا.

- صحيح، هناك مستودع قديم شمالي المدينة فيه أسلحة وذخيرة مخبأة من قبل العدو. اجلسوا لأعلمكم بالتفاصيل.

توجّه الشبان الأربعة إلى الموقع المحدد، أخذ كلّ منهم مكانه.

- من فهد إلى الغزّاوي، المكان جيّد المراقبة هنا.

- من الغزّاوي لابن يافا، بدّل مكانك.

- من الغزّاوي إلى الجميع، عند قولي ٣ تُضرب الصواريخ. واحد، إثنان، ثلاثة.

ما إن نطق الغزّاوي بالرقم ثلاثة حتى انطلقت أربعة صواريخ كانت مجهزة وكفيلة بتدمير المكان وقتل من كان فيه من الجنود.

عاد الشبان الأربعة إلى منزل أبي سعد وقد خضت الأخبار أرجاء المدينة، الجميع يتحدث عن إطلاق الصواريخ ويسأل عنها. وعندما نشر الصباح أشعة شمسه تبين أنّ الصواريخ استهدفت أكبر مخزن لأسلحة العدو ودمّرتة.

استيقظ الغزّاوي على صوت هاتفه یرنّ.

- ألو، صباح الخير.
- صباح النور يا عمّي، ما بك؟
- أين أنت؟
- في رام الله.
- ومتى سافرت؟
- مساء البارحة.
- أسمعت بانفجار أكبر مستودع صواريخ وأسلحة للعدو؟



- نعم سمعت، ومنتظر معرفة  
الفاعل (كانت هذه العبارة هي الشيفرة التي  
يعرف من خلالها ضرغام أن عمر الغزّاوي  
وجماعته هم من دمّروا المستودع).

- على كل حال، أردت إخبارك أنّ  
غزّة تحت القصف.

- ماذا؟

- نعم، من ساعات الفجر ولم يتوقف  
إطلاق النار المتبادل، وتمّ قصف عدة بيوت.

- وهل أنتم بخير؟

- لا تقلق، جميعنا بخير.

إنشغل بال الغزّاوي وقلق على أهله في غزّة. ماذا  
عساه يفعل وهو في رام الله. لقد تعب من خسارة الأحبة.  
تعب من قسوة الحياة عليه، تعب قلبه من تحمل أكثر من  
طاقته.

## يتيم الأبوين

إنه اليوم السادس الذي يمرّ وغزّة تحت القصف. إلى متى سيستمر الوضع هكذا؟ ها هي مرام في شهرها الثامن تقطن في منزل أهلها. تمضي أم عمر نهارها عند أخيها وتعود إلى منزلها مساء. إنّها الساعة الثالثة فجراً، والقدائف لا تتوقف. في آية لحظة قد تنزل في بيت مرام أو في بيت أم عمر أو في بيت ضرغام. لم تستطع أم عمر النوم تلك الليلة، شعرت بشعور غريب لم تشعر بمثله من قبل، جلست مع مالك ولدها يشاهدان التلفاز، وفي البيت المقابل لها بيت سلفها ضرغام. لم يستطع النوم أيضاً، فجلس على الشرفة يقرأ القرآن الكريم. سمع صوتاً قوياً وكأنّ قذيفة قد نزلت بقربه، استدار نحو الشرفة الخلفية ليصدم بمنظر مروّع خشيه منذ بداية القصف. منزل أخيه قد دُمّر بقذيفة كبيرة.

أسرع شبّان المقاومة ليخرجوا الجثتين من تحت الأنقاض، لقد سرق الموت شخصين آخرين من حياة الغزّاوي. أمّه وشقيقه، يا لها من خسارة ثقيلة عليه.

- صباح الخير يا عمر.
- صباح الخير يا فهد.
- لقد اتصل بي عمك وأراد إخبارك  
بشيء هام.
- شغلت بالي، ماذا هناك؟
- تعازي لك، لقد اشتشهدت أمك  
وأخوك.
- كيف حصل هذا؟
- لقد نزلت قذيفة في منزلها  
ودمّرت المنزل بالكامل.
- حسبي الله ونعم الوكيل. ألا يمكن  
تأمين دخولي إلى غزة؟

- لا أيها الغزّاوي، فغزّة محاصرة  
وتحت القصف، ودخولك قد يسبب أزمة  
كبيرة.

- لا إله إلا الله، صبرك يا ربي )  
قال الغزّاوي والكلمة تختق في حنجرته).

أغلق الغزّاوي الباب على نفسه، وقلبه موجوع من  
كثرة الصدمات. أمّه التي لم يرها منذ أشهر، أخاه الذي  
وعده بخوض المعارك معاً. بكى الغزّاوي ذلك الرجل  
الضخم الذي لا تفارق البسمة وجهه. من يتوقع أنّ وراء  
تلك البسمة هموم كبيرة وكثيرة. كيف له أن يداوي  
جراحه، أمسك بورقة، وبدأ يكتب على صفحته ليضمها  
للمسائل التي لم تصل إلى صديقه:

- آه يا صديقي ماذا حلّ بي. آه يا  
صديقي إنني أفقد أحبائي واحداً تلو الآخر، ها  
هما أخي وأمّي في ذمّة الله الآن. سنلتقي  
بهما، ليأتي كنت مكانك لكنك استقبلت أمّي  
وربّت على كتفها، لكنك جلست مع والدي

وأخبرته ببطولات ابنه، فكم اشتهيتك معي في  
مغامراتي في القدس. آه يا صديقي أريد أن  
أوصيك بأهلي، سنلقاهم، أخبرهم بمغامراتنا،  
هنيئاً لك يا صديقي كم أنت سعيد الآن مع  
الأشخاص الأقرب إلى قلبي. أتعرف أغبطك  
على موتك، فمن التالي هذه المرّة؟ ربما تكون  
زوجتي أو عمّي أو صغيري الذي أنتظره، أو  
ربما أنا. يا لقباحتك يا شبح الموت، إقبض  
روحي وانه حياتي فربما ارتاح حينها أكثر.

ردّد عمر هذه الكلمات حزيناً على ما يحلّ به. أشرقت  
شمس الصباح، غسلت الجثثتان، ولفّتا بالكفن ودفنتنا. لم  
يتوقف أحد عن البكاء. فمن لا يحبّ أمّ عمر؟! في حياتنا  
هذه من نحبهم يذهبون بسرعة، من نرتاح لرؤيتهم يقبض  
شبح الموت روحهم بسرعة، لأكن صريحاً بدأت أكتشف  
أنّ الدنيا قاسية!

## حسن الصغير

يموت آلاف الشهداء يومياً ويولد العشرات أيضاً.  
يذهب الكبير ويولد الصغير. لم تتم مرام ليلتها تلك وجعاً.  
هرع والدها منادياً الطبيبة. كشفت الطبيبة عليها وأخبرتهم  
بالوضع الصعب والخطورة الكبيرة، وأضافت أنه يجب  
عليها أن تلد. بقيت مرام مستلقية على ذلك السرير تئنّ  
وجعاً، ترتجف خوفاً، تقطر عرقاً. أخذت مرام شهيقاً  
وزفيراً، قبضت على يدي أمّها وقد غرست أطرافها  
الطويلة في يديها المسكينتين، صرخت مرام ذلك الصوت  
الذي خرج من عمق قلبها. إنها أصعب لحظات حياتها،  
رأت الطبيبة رأس المولد ثم أخرجته إلى الدنيا. قفزت  
لتراقب حالة الأم، نبضها وتنفسها جيّداً. راح المولود  
الذكر الصغير يبكي ولأول مرّة في حياته. إنه طفل  
فلسطيني جديد. حمّمت الجدة حفيدها ولفّته ليصبح ملاكاً  
صغيراً، كبر ضرغام في أذني الصغير، التقط هاتفه  
ليتصل بعمر الغزاوي، هل عساه يردّ والساعة تجاوزت  
الثالثة فجرأ؟!!

- ألو، ماذا تريد يا عمي؟

لم يكمل عمر الغزّاوي جملته لسمع صوت بكاء طفله  
فنهض وتأهّب والفرحة لا تسعه منادياً بأعلى صوته : لقد  
اصبحت أباً، سمّيه حسن يا عمي. حسن الصغير على اسم  
صديقي الذي قدّم روحه فداءً. أغلق ضرغام الهاتف  
الشوق في عيني عمر. وُلد هذا الصغير ليكون دواءً لجرح  
أبيه، ذلك الجرح الذي بقي ينزف دموعاً على فراق  
الأحبة. دخلت زوجة ضرغام إلى مرام، ويبيديها صرّة  
وأردفت : لا تقلقي يا عزيزتي، هذه لعمر. كانت ثيابه في  
صغره. فلتبقّ لحسن الآن.

أكرم وليد والد مرام الطبيبتين زيادة على تعبهما.  
مضى يومان على ولادة الصغير. إنها الساعة الثانية  
فجراً، الجميع في أسرّتهم مستسلمين للتعب والنوم،  
الكهرباء مقطوعة فغزّة تحت القصف ولا يمكن إدخال  
المازوت أو البنزين لتشغيل مولّدات الكهرباء. طُرق باب  
المنزل فاستيقظ وليد وحار في نفسه، من يأتي في مثل هذا

الوقت؟ نظر من العين الساحرة، لم يرَ شيئاً فقد استسلمت  
غزّة لكحل الليل. همس بصوت منخفض:

- من الطارق؟

- أنا الغزّاوي يا خالي إفتح بسرعة.

- كيف دخلت غزّة؟

- من الخنادق السريّة. أين مرام

والصغير؟

- لا تقلق إنهما نائمان الآن. أخبرني

بكل ما حصل معك.

جلس الغزّاوي وخاله وليد يتحدثان عن أحوال غزّة  
والقدس. أشرقت شمس الصباح، سمع عمر صوت بكاء  
صغيره، هرع إلى الغرفة والفرحة لا تسعه.

- ماذا به صغيري؟



- باسم الله الرحمن الرحيم، أهذا  
أنت يا عمر؟ متى جئت؟
- منذ الثالثة فجراً وأنا هنا.  
أخبريني، ما به؟
- ما أدراني، إنّه بدأ بالبكاء قبل  
قليل.

## صغيري مريض

وُلد حسن كأمل أخير لوالديه. وُلد ليعوّضهما عمّا فات، ليرسم على وجهيهما ابتسامة رغم المآسي والأحزان والآلم. أشرقت شمس صباح جديد، أيقظت مرام زوجها عند السادسة صباحاً ووجهها مثل لون ورق الحور.

- استيقظ يا عمر، لم يتوقف حسن عن البكاء طوال الليل، وحرارته لم تنخفض، وقد تقيأ مرتين.

- سمّ بالله يا مرام، ألم تعطه دواء؟

- لا يمكنني أن أعطيه دواء على هواي. لم يتجاوز الأيام في عمره، وقد اخطيء خطأ يكلفنا حياته.

- ماذا عسانا نفعل والساعة ما زالت

السادسة؟

- فلنأخذه إلى طبيب ما، وإن كانت  
الساعة السادسة، لا سمح الله يحصل له شيء  
ما.

أخذ عمر صغيره، وذهب به إلى الطبيب حمزة.

- إالحق يا حكيم.

- تفضل يا عمر، ماذا هناك؟

- لم تنخفض حرارته منذ ساعات،

ولم يتوقف عن البكاء، وتقيأ مرتين.

- كم عمره؟

- أربعة أيام فقط.

- لا يقوى جسده على الدواء بعد.

- وما الحلّ يا حكيم؟

- على الأغلب قد اخذ جرثومة ما،  
إبرة صغيرة تكفي. إن لم يتحسن فيجب  
إدخاله المشفى.

- وهل مشفى غزّة مفتوح؟

- مفتوح، ولكن لا يستقبل المرضى  
الصغار لكثرة الجرحى. إذا لم يتحسن يجب  
عليك السفر إلى مشفى الخليل.

إنقط الطبيب إبرة صغيرة ووضع بها جرعة قليلة من  
مسحوق لم يحفظ عمر اسمه. سمّ بالله وعرسه في جسد  
الطفل الصغير. عاد عمر إلى المنزل قلقاً. نام الصغير.

- آه يا مرام، أنظري إلى ملاكي  
الصغير، لقد تعب منذ ولادته.

- لا تقلق يا عزيزي.

- ماذا إن خسرتّه هو الآخر؟

- ما بك يا عمر، أعرفك أقوى من هذا، تفاعل بالخير.

- لا أدري، لأول مرّة أخاف من المرض هكذا.

ساعات قليلة مرّت واستيقظ الصغير وقد تحسّن قليلاً. عادت البسمة إلى وجه عمر حين وجد صغيره قد تخطّى المرض. اجتمعت عقارب الساعة في العاشرة ليلاً، أطفأ عمر القنديل، وصعد الدرج ليخلد للنوم، ما كاد ينزل في سريره حتى طرق باب المنزل بقوة، أسرع عمر وقد شعر أنّ شيئاً ما قد حدث، فتح الباب ليصدم بجملته بان عمّه: هناك وضع عاجل، أسرع.

## غزّة مقابل ...

- خير يا عمّي، ماذا هناك؟
- لقد أرسل أحد مسؤولي قيادة العدو عبر طرف ثالث وقَدّموا لنا عرضاً.
- ألا وهو؟
- غزّة مقابل عمر، أي أنت!
- كيف هذا؟ لم أفهم؟!
- قالوا إنهم سينسحبون من غزّة مقابل تسليمك.
- أقبّل.
- كيف لي أن أقبّل يا عمر؟!
- ألم نقل دائماً إنّ الوطن أعلى من روحنا وأقسمنا أن نقدّم روحنا فداءً له؟!

- نعم، ولكن قد نجد حلاً بديلاً.

- لا حلّ آخر.

- لا بل يوجد.

- ما هو ؟

- صباح اليوم وصل إلينا عشرون

صاروخاً وعشرة قذائف يمكننا أن ندعهم  
يستسلمون مع دعم من الخارج.

- فنتوكل على الله.

أخذ الجميع مواقعهم، واحد، إثنان، أطلقت أول عشرة  
صواريخ. أخذ ضرغام المكبر وأضاف: استسلموا الآن  
وإلا نكمل. ليجد الردّ قوياً : لن نستسلم، ونعرف أنّ  
ذخيرتكم قليلة والنصر لنا. عشرة صواريخ أخرى وقذائف  
أخرى كانت كفيلة لجعل المكان رماداً. رنّ هاتف ضرغام  
ليصله خبر بانسحاب العدو من غزّة بأكمالها طالبين عدم  
نزف المزيد من الدماء.

تجمهر شباب المقاومة، أمسكوا أسلحتهم، وداروا في  
شوارع المدينة مطلقين العنان لرصاصهم هاتفين بأعلى  
صوتهم : النصر لنا، النصر لنا.

أشرقَت شمس الصباح، ذلك الصباح الجميل، لقد  
تحرّرت غزّة اليوم وستحرّر فلسطين غداً. جلس عمر إلى  
قبر صديقه حسن مخاطباً إياه:

- آه يا حسن كم تمنيتك معي اليوم،  
لقد حررنا غزّة اليوم، أصبحت تحت حمايتنا  
وحراستنا اليوم. لقد وُلِدَ صغيري أيضاً وقد  
سمّيته على اسمك، حسن بن عمر، لبتك هنا  
لتشهد على نصرنا. كم اشتقت إليك يا  
صاحبي، لقد كتبت الكثير من الرسائل لك،  
رسائل لم ترها ولم تقرأها. سلام لروحك يا  
عزيزي، هنيئاً لك الشهادة.

وضع عمر الورود على قبر صديقه، قرأ الفاتحة  
لروحه، وعاد إلى منزل عمّه ضرغام حيث وليمة كبرى  
لتحرير غزّة. جلس عمر مع عمّه بعد انتهاء الطعام



وذهاب المدعويين، وُزَّع عناصر المقاومة بشكل دقيق وتمَّ تحويل مخفر العدو إلى مقرّ للمقاومة. غزّة الأبية التي تحمّلت الكثير من الحزن والمآسي والموت ها هي اليوم تُزفّ في عرسها، سيُكتب قرانها على النصر الأبدي. وقف شباب المقاومة حاملين أسلحتهم، يدهم على القرآن الكريم مقسمين أن يبقوا رأس غزّة مرفوعاً ولن يخذلوا ما دام في جسدكم وفي شرايينهم دماء.

وُزَّعت الحلوى على الصغار، والمؤن على الكبار، فالיום عيد، إنه عيد غزّة. إنتهى ذلك اليوم الجميل، جلس عمر وزوجته وبينهما الملاك الصغير حسن لأول مرّة يجلسون كعائلة بلا خطر نزول قذيفة ما، وقاطع تلك الجلسة العائلية العمّ ضرغام.

- أتعرف يا بني إنها المرّة الأولى  
التي أمشي فيها في غزّة وصدري منشرح  
وكأنني لأول مرّة استنشقت الهواء.

- يا عمّي، هواء الحرّيّة مختلف.

- الحقّ معك يا بُني. أردت أخبارك  
أنّه عليك السفر إلى رام الله من جديد.

- لقد اعتدت التنقل، ولكن ما  
السبب؟

- وجودك هنا يسبب خطراً كبيراً،  
وشباب رام الله بحاجة إليك أكثر. صباح غد  
تتطلق حافلتك.

أكمل ضرغام وعمر سهرتهما، ثم وضّب عمر ثيابه  
وخلد للنوم. صباح جديد وبداية جديدة، ودّع عمر زوجته  
وابنه الصغير، وانطلق إلى رام الله. إحساس بالخطر  
ينتابه، لم يشعر به من قبل قط.

مضى يومان على الطريق وطالت المسافة على غير  
عادة، وصل عمر إلى رام الله، توجه نحو بين قائده، سلّم  
على زملائه، جلس إلى جانبهم على الكنبه يستريح، وفجأة  
طُرق الباب. انتقل عمر إلى الغرفة الأخرى وأسرع القائد  
كي يفتح الباب.

- تفضل أيها الضابط، من تريد؟

- لدينا أمر بتفتيش المنزل.

- لماذا؟

- هناك خبر بوجود المطلوب عمر

في منزلك. ابتعد من الطريق.

في تلك اللحظات كان عمر يسمع الحوار فأسرع إلى  
السطح، ثم قفز إلى البيت المجاور، واختفى بين أثاثه. قلب  
الجنود بيت القائد رأساً على عقب ولم يجدوا شيئاً. عاد  
عمر إلى المنزل بعد مغادرتهم.

- كيف عرفوا بوجودي هنا؟

- ربما راقبوا تحركاتك، ولكن لا

يمكنك البقاء هنا.

- لقد وصلت للتو.

- أعرّف، لكن سيتم تفتيش البيوت  
كلها، ويجب عليك السفر إلى القدس حالياً  
ويلحق بك الشباب غداً.

لثمّ عمر وجهه، وحمل أغراضه ونزل من الخندق  
السريّ الذي يصل بيت القائد بمشارف رام الله وانطلق  
مشياً نحو القدس. مرّت الساعات الأولى على ما يرام.  
سلك عمر الطريق الآمن، أحسّ عمر بشيء ما يطرق  
ظهره.

- ألو ضرغام يتكلم.

- لقد تمّ اعتقال الغزّاوي.

## بين أربعة جدران

ها هو عمر في غرفة صغيرة كاد أن يسع بها، بين  
أربعة جدران مجدداً يرافق الوحدة في سهره، يشارك  
الفئران طعامه. لقد اقتربت ساعة مغيب شمس عمر لا  
محالة. كتب على جدار السجن: وحيداً كما اعتدتُ، أبيت  
ليالي بين أربعة جدران، أعرف مصيري إعدام بعد أيام  
وسأرتوي من شراب الشهادة. أدخل عمر إلى مكتب  
الضابط.

- مرحباً، أهلاً بك في الجحيم.

- سوياً أهلاً بك.

- من غير لفّ ولا دوران، نعرف

"جرائمك".

- جرائم؟! بل هي فخر لنا.

- قتل الجنرال، سرقة الوثائق،  
إيصال المؤن، خطف الضابط وقتله،  
المشاركة في "احتلال المقاومة" لغزّة.

- إحتلال؟! ألم تفهموا بعد أنّها  
أرضنا وحررناها من احتلالكم وسنحرر  
فلسطين كلّها بإذن الله.

- كلام فاضي، كلام فاضي، فلتكن  
عقلانياً وتساعدنا.

- أساعدكم؟! على جتّي.

- من أرسل لكم الصواريخ  
والقذائف؟

- لن تأخذ حرفاً من لساني، حاول  
زملأوك كثيراً ولم يفلحوا.

- نورس، إجلب الماء وأسلاك  
الكهرباء.

- لا تعذب نفسك، أعرف هذه الأساليب كثيراً ولن أنفوه بحرف.

بدأ نورس عمله وعمر صامت لا يتفوّه بحرف. بانّت علامات التعب على وجه الغزّاوي، نظر نظرة احتقار إلى الضابط وأضاف : سأقدّم لك معلومة. توقف نورس .

- بين غزّة والخليل خنادق سرّية تمكّنكم من استعادة غزّة.

- أين الخنادق في الخليل.

- عند آخر الأحراج جذع شجرة كبير تدخل منه.

أدخل عمر إلى الزنزانة وتوقف التعذيب، استعدّ الجنود للمعركة، قادهم الضابط المسؤول.

- لقد وجدنا جذع الشجرة يا نورس. والله لم يكذب عمر هذا. هيّا ستدخلون أنتم

من هنا، سأنتظركم أنا ونورس خارج الخنادق  
استعدّوا للنصر.

دخل الجنود حسب التعليمات، أُغلق بابُ الخندق،  
وبعد دقائق اهتزّت الأرض تحت قدمي نورس والضابط،  
وأيقن أنّ عمر قد خدعهم، فقد فُخّخت الخنادق بقنابل  
متفجرة حولت حياة الجنود إلى جحيم.

عاد الضابط ونورس إلى المخفر وقد جُنّ جنونهما.

- لا يمكنك أن تخدعني، لا يمكنك.

- خسائر، خسائر، خسائر، and

who did it ? Omar did it

- قتلك حلال عليّ يا ابن علي.

- وهل تفهم أنت بالحلال والحرام؟

- أصمت. أغلقوا عليه الباب لتري

ما سيحلّ بك.



المقاومون الشرفاء لا يسقطون ولا يخونون على الرغم من أنهم يوقنون أنّ موتهم قريب لكنّ الروح تفدي الوطن، ذلك الوطن الذي أطعمنا من خيراته، وأسقانا من ينابيعه. الوطن ترابه سجّل أولى خطواتنا، وشمسه شهدت على طفولتنا. ذلك الوطن الذي تحمّل وجودنا فيه رغم المآسي والحروب، فالدم يفديه والروح تصعد لربّ العزّة فداء لذلك الوطن الأبويّ، التحقيقات جارية مع عمر، خمسة شهور مرّت ولم يتفوّه بحرف.

وزعت الشمس ظفائرها العسلية في صباح جديد، استيقظ ضرغام وعلى غير عادته قرّر زيارة وليد في الصباح. جلس مع وليد يتناقشان في أمور غزّة وتوزيع الحصص الغذائية. رنّ هاتف ضرغام، صوت جشّ افتتح المكالمة بعبارة : لقد تمّ إعدام الغزّاوي يا عم.

## فراق

أجرى ضرغام اتصالاته ليتأكد من الخبر، لقد تمّ  
إعدام الغزّاوي، الخبر صحيح. سمعت مرام الخبر  
فانهارت أرضاً فاقدة وعيها. لقد عاد الحزن يخيم علينا بعد  
الأمل الأخير. لم يرضوا تسليم الجثة لهم.

فُتح عزاء، عزاءٌ من دون جثة. لقد استشهد بطل  
جديد، وتيتّم طفل جديد، ورُمّلت امرأة جديدة. أسابيع مرّت  
ولم تدخل اللقمة حلق مرام، ولم يفارق الدمع عينيها.

- لا يجوز يا ابنتي ثلاثة أسابيع  
وطعامك قليل. يجب أن تكوني قويّة من أجل  
صغيرك.

- أيّ قوّة يا أمي. لقد خسرت  
زوجي وتيتّم صغيري.

- يا ابنتي، هذه سنّة الحياة، والموت  
سنّة لا مهرب منها.

- لا حول ولا قوّة إلا بالله، اتركيني  
أنام قليلاً.

مرّت ساعات ولم تستيقظ مرام من سباتها. لم يصمت  
الصغير وقد انفجر باكياً.

- يا وليد، لقد قلقت على مرام. منذ  
ساعات وهي نائمة ولم يسكت الصغير.

- أيقظيها، ماذا تنتظرين؟ أنا  
أوقظها.

صعد وليد غرفة مرام محاولاً إيقاظها، فلم تستيقظ  
معه، وضع إصبعه على أنفها، لا نفس ولا نبض. نادى  
الطبيبة، ثمّ خرجت وعلامات الحزن على وجهها. لقد  
خسرنا مرام أيضاً. غُسلت الجثة، ولُفّت بالكفن، وعُيّن  
موعد الدفن بعد صلاة الظهر. مرام الرقيقة ذو الوجه  
البشوش تلك الجميلة التي نعتها والدها بروح فؤاده وقرّة  
عينه ذهب مرام أيضاً واستسلمت لوحش الحزن والألم،  
استسلمت لشبح الموت الذي النقط روحها بلا رحمة، لم

يرحم وجهها الملكي، تركت وراءها صغيراً يبكي، أمّاً  
منهارة وأباً منهكاً وزوجاً ستلقاه في الجنّة.

مرّت سنة على موت عمر ومرام، عندما يعتاد القلب  
على المآسي والصدمات يصبح العيش في زمن الحروب  
سهلاً. التأقلم مع الموت يكون سهلاً أيضاً. ما ذنب  
الصغير أن يربى من غير أمّ ولا أب. ما ذنبه أن يفقد  
حنان الأبوين؟

عند بلوغ حسن السنّة انتقل للعيش عند جدّه ضرغام  
بعد سفر وليد وزوجته إلى اسطنبول إلى بكرهم مصطفى.

## عائد من الموت

يمرّ العمر بسرعة ويركض الزمن والوقت، ها هو  
حسن قد أصبح في السادسة من عمره، اسم الله عليه،  
يقولون إنه عمر على المصغرّ.

بعيداً في سجن القدس، فُتحت الزنزانة التي لم تُفتح  
منذ ست سنوات، رُمي إلى الزنزانة ملابس جديدة، انتظر  
الحارس انتهاء السجين من تغيير ملابسه، فُتح الباب  
مجدّداً، خرج السجين، كبّلت يداه، وأدخل إلى غرفة  
الضابط. جلس على كرسي خشبي قديم، شعره وصل إلى  
كتفيه، ولحيته كادت أن تلامس الرقبة.

- يجب أن توقّع على ورقة تعهّد  
تكفل عدم إقدامك على أي شيء.

- حبر على ورق. غيره.

- لا شيء آخر، سيطلق سراحك،  
فلم نستفد منك بشيء.

وقّع السجين التعهّد، وخرج من المخفر لتخرق عيناه  
ولأول مرّة بعد ست سنوات ضوء الشمس. إن جلست  
لدقيقة تتخيّل منظر ذلك السجين سترتعب مما عاشه. مشى  
ذلك السجين حتى وصل الأقصى، وأخذ مفتاح غرفة كانت  
للعائلة قديماً، دخل المنزل رمى بنفسه على الكنبه لدقائق،  
محاولاً استيعاب رجوعه للحياة. شدّ حبله وغسل وجهه،  
حلق شعره ولحيته، ولبس ثياباً قديمة وجدها في الخزانة،  
ذهب للأقصى صلى واستنشق هواء القدس الذي حُرّم منه  
منذ ست سنوات، طوال فترة سجنه لم يقطع الصلاة أبداً،  
إنّه شاب مؤمن وقوي، أظنّ أنكم عرفتم من يكون هذا  
الشاب السجين القوي، إنّه عمر الغزّاوي. نعم لم يمت  
عمر. بل تمّ تليفق خبر إعدامه على يد العدو لتعذيب أهله  
وتدمير حياته أكثر مما هي مدمّرة.

ذهب عمر لزيارة قبر والده، وضع الورود على  
التراب، قرأ الفاتحة لروحه، ماذا عساه يخبر والده؟! عن  
ست سنوات فانية مظلمة؟! سقى عمر قبر والده ثم ذهب  
إلى منزل قائده لعلّه يجده بعد مرور السنوات. لم يخب

ظنّه. لقد وجدّه، استغرب القائد كيف عاد عمر من الموت.  
شرح له عم ما حدث.

- كيف أُطلق سراحك يا بُني؟

- علمي علمك. لقد استغربت حين  
فُتح باب الزنزانة صباح هذا اليوم وإخباري  
بقرار إطلاق سراحي.

- وأين ستستقرّ يا بني؟

- في غزّة يا قائدي، مع زوجتي  
وصغيري. لقد هرم عمّي، سأستلم مكانه بإذن  
الله.

- لكن ... (حزين كيف يخبره  
بموت زوجته)

- لكن ماذا؟

- لا شيء يا بُني، جهّز نفسك مساء  
اليوم لتتطلق مع القافلة.

مضى اليوم بسرعة والشوق يقتل عمر للقاء عائلته،  
لا يعرف أنّ زوجته قد ودّعت الحياة منذ سنوات حين  
رفض قلبها تحمّل الفراق. ودّع عمر قائده وانطلق في  
القافلة التي وصلت ظهر اليوم التالي. نزل عمر منها  
وعيون الناس تلاحقه مستغربة، أهل عائذ من الموت؟

توجّه عمر إلى بيت ضرغام ليجد طفلاً صغيراً يلهو  
ويلعب خارج المنزل.

- صباح الخير.

- صباح النور سيّدي، تفضل.

- ما اسمك يا صغيري؟

- أنا حسن، حسن ابن الشهيد عمر.

كيف أساعدك؟

في هذه اللحظات خرج ضرغام من المنزل وصدم  
بعمر ولم يصدّق عيناه ما تراه، مبشراً الصغير بعودة



والده. ارتمى حسن بين يديه أبيه، شرح عمر لعمه كل شيء وقد تلقى الخبر الحزين.

وصل عمر إلى قبر مرام، وضع الورود المفضلة لديها، وجلس إلى جانبها يلعب بشعرها أي ترابها، وأردف : أه يا ملاكي، لقد عدت لأعيش وأستقرّ هنا لكن لا طعم ولا حلاوة للعيش في غزّة بدونك. ست سنوات وأنا أنتظر لقاءكما، ليتني استشهدت فعلاً ولم أرَ موتك. جلس عمر باكياً على موت نصفه الآخر وفجأة اختض عمر لتدخل أربع رصاصات جسده، إنها رصاصات قنّاص غادر، لم يكن العدو ليترك عمر دون قتله غدرًا. ها هو الآن استشهد إلى جانب زوجته.

أمّا حسن فقد اختبأ من رصاص القنّاص خلف شجرة قبالة قبر والدته يراقب والده، ثم أسرع بعد ذلك نحوه وأخذ مسدسه ومضى باحثاً عن قاتل أبيه.

كم من مرّة نجا عمر من الموت فيها وها هو الآن استشهد من دون أيّ محاولة للهرب من القدر، فشاء الله أن تنتهي قصتهما بالشهادة. نمضي حياتنا بالقلق على مستقبل

قد لا نكون فيه، على لحظات قد لا تأتي، مات كلاهما وقد  
ماتت معهما لحظات جميلة تمّ التخطيط لها ولكن لم  
يعيشاها. فلكل جميل نهاية حزينة!

## الفهرس

- المقدمة ..... ٢
- قرار صعب ..... ٣
- إشتباك قبل التدريب ..... ٩
- هل تقبلين بي زوجاً ..... ١٦
- ريّ التربة ..... ٢٤
- رابط يجمعنا ..... ٣٣
- أجساد هزيلة ..... ٣٩
- سجين بلا جناية ..... ٤٥
- هوية جديدة ..... ٥٣
- الوجه الأخير ..... ٦٣

- ٧٠ ..... وفيت بو عدي
- ٧٤ ..... سلام لروحك
- ٧٨ ..... إلى رام الله
- ٨٢ ..... يتيم الأبوين
- ٨٦ ..... حسن الصّغير
- ٩٠ ..... صغيري مريض
- ٩٤ ..... غزّة مقابل
- ١٠١ ..... بين أربعة جدران
- ١٠٦ ..... فراق
- ١٠٩ ..... عائذ من الموت
- ١١٦ ..... الفهرس